ظبية ضيفة الملك

مملكة الضباع 1

أسماء الأوجلي

تاريخ الكتابة : 3 \2015
تاريخ النشر : 3\2021

الإهداء

إلى شقيقاتي الآتي شجعني على مواصلة الكتابة، و إلى حلم بريء تشاركته مع صديقات عمري، إلهام و إبتهال و فطيمة
أهدي هذا العمل. و إلى أمي الغالية حفظكي الله لي و رحم الله روح والدي العزيز أسال الله أن يتغمد روحه الطاهرة بالرحمة و المغفرة

شكر خاص لـ

Sundus Mohammed

على التحرير النص و تصميم الغلاف

ظبية ضيفة الملك

مملكة الضباع 1

تمهيد...

في زمن غابر،بعد أو قبل الميلاد لا يهم، أن ما سأسرده في هذه الحكاية يدعوا للعجب، فالقول المأثور «اتحاد قوة» أصبح قولًا يدعوا للضحك، حيث في مملكة شيدت على قوة ومتانة و اتحاد بعض قبائل العرب، قد واجهت خطر السقوط، فأصبح مصدر قوة وبقاء المملكة هو اجتماع قبائلها على الرأي الصحيح، دون نزعات أو خلافات،لأن القلوب السوداء، و العيون الغادرة، قد نفخت روح التفرق ببطيء و هدوء بين القلوب الطيبة الرحيمة، لكن نبل و صدق عواطف بعض الأشخاص سيحفظ إسم بني جندل العمالق دون أن تطالهم يد الغدر و الخيانة.

في أرض عربية، و تحت سماء شمسها حارقة، و شتاءها سيول فائضة، تنمو أجساد صغيرة قد قدر لها أن تلبس رداء الحزن، في غابة من الأهواء، و الأطماع الباطنة في الصدور.

{١}

- لم أسمع منذ مدة عن أحوال أخي الأمير قيس يا مولاى، لقد أحزنه جدا عدم قدرته على مشاركتنا في هذه الحملة الأخيرة.

تبسم الملك برضا ومشى ورائه القواد و أمراء القبائل و عن جبنه ابنه الأمير المنذر، الذي كان قد حاز على رضا والده لشجاعته و إقدامه في ساحة الوغى، و ثبات سريرته.

سكت المنذر إحتراما لصمت والده الملك، الذى احكم قبضة يده على لجام فرسه، و إستقبل الرياح القوية بصدره في ذلك السهل، الذى يعبق برائحة الإنتصار التي حققها الملك على الفرس، و قد كان القتال تحديدا بين الروم و الفرس، لكن الروم طلبوا مساعدة الملك الضبعي، فلم يهتم لذلك حتي قامت الفرس بتجنيد بعض القائل العربية، بعد بذل العطايا لأمرائهم في الجزيرة و في نجد، و دعمهم ليبذلوا أرواحهم و دماءهم في مساعدة الفرس.

في حين أن الملك، كان يطمح دئماً لضم قبائل نجد و اليمن إلى مملكته، قد أزعجه ذلك فعمد إلى الذكاء و الحيلة، و ارسل يفاوض قيصر الروم.

فبعث قيصر الروم بالذهب و العبيد و المجوهرات و الكنوز إلى الملك العربي، و قد وقعا معا عهد الصداقة بينهما، و إعترف

القيصر بالملك العربي، كملك على الحجاز و الشام و البحرين و حوران، و حصل الملك على طاعة بعض القبائل، التي رفضت أن تظل تحت حكم الروم ،ففضلت عليهم الملك العربي.

لم تستغرق هذه الحملة طويلا، و ها هو الملك الظافر يعود إلى مملكته، حيث كان الأمير الأول اليفع، يقود بعض الجنود لقمع محاولة لهز العرش الملكي، محاولة قد غضب منها الملك، فأرسل لهم اليفع ولى العهد مع الجنود و السلاح و قائلا له :

- إذهب مع خمسة ألاف جندى ممن يتطوعون لتحقيق في البحرين، و أعطهم الأمان و أنظر شكواهم و أسبابهم، فإن وجدت ما يستحق فأرسل لي رسولا، فأعطي حكمي و إلا فإقطع رأس الخونة.

فقال اليفع، و هو في نحو الخامسة و العشرين من العمر : نعم يا مولاى،و أذهب الأن لأجهز الجند، و أخرج بعد ثلاثة أيام.

فقال الملك بحدة : بل تجرج عند الفجر، و لا تنام الليل، أو تقف للطريق، بل تصل إلى البحرين أسرع من إنطلاق النعام.

سكت الأمير، الذى كان رغم وسامته ودمه الزكي، و النعيم الذي تربي فيه و كبر و عاش بين جنباته، أقل من والده الملك رغبة في توسيع المملكة، و لم يكن شاعرا أو محبا للأدب، و لا الحكماء و الفلاسفة بل يستهويه الرقص مع الجواري و الشرب و الصيد.

كان عكسا لوالده الملك، الذى كان لا يظل في القصر لشهر، حتي يخرج للصيد و القنص و يسمع و يقرب الشعراء و الأدباء و الندماء، و يناقش أمور السياسة و الحرب و الطعان في ليله و نهاره، بل كان اليفع كسولا ناعس العينين، و بطئ الكلام، لكنه يخاف من والده الملك، و ينفذ أوامره و لم يكن ليعصي أمر الملك، أو يراجعه في أحد الأراء. و قد كان اليفع يحسد أخاه المنذر على صلابته، فقد كان المنذر، و هو في العشرين من العمر الأن، قويا و هادئا، يناقش الملك في الأمور كلها، لا يخاف غضب الملك، فكان المنذر لا ينام الليل، حالما يعلن الملك أنه ذاهب للحرب أو مجالس الأدب. بل أن حسده قد كبر ، فأصبح لا يطيق النظر إليه، ولا سماع مديح القواد للمنذر و قوته و شبهه بالملك.و على هذا الحال، فقد كان علي الأمير الثاني قيس، أن يهتم بأمور المملكة، كنائب حتي يعود الملك ظافرا من الحرب.

- بعد عدة أيام، نعود للقصر الأبيض يا منذر. و نرى كيف فعل اليفع مع مهمته في البحرين، و كيف أدار قيس الأمور في غيابنا.

فقال المنذر ردا على كلام والده الملك، متابعا السير على ظهر جواده : أثق تماما يا مولاى، أن أميرك قيس يحسن التدبير، فهو ذكي و متقد الذهن يا مولاى. إني أحيانا لا أعلم بما يفكر أخي قيس، فهو رغم ضعف جسمه، له عقل راجح و عين ثاقبة، و

لسوف يكون عونا لك في المستقبل.
فقال الملك، و قد عرف ما يرمي إليه إبنه المنذر :
- نعم، صدقت يا منذر، و لو لم يكن ضغيف الجسد لكان قائدا لجيشي و حاميا لمملكتي، و لكن ذلك مما لا يسهل إدراكه يا بني. فقبائل الشام لا تقبل أن يقودها رجل ضعيف الجسد، و إن كان عقله قويا نيرا. فلابد أن يقف الملك و القائد على رأس الرجال، يحمسهم و ينفخ في صدورهم الحمية و الشجاعة. و لذ أرى أن مكان أميرنا قيس هو مكان الأمين، و المستشار و الناصح في شئون المملكة.
تبسم المنذر بفخر و قال : لا قول بعد قولك يا مولاى، فقد كان ما أسلفته، نعم الوصف و حسن الأيجاز و بعد النظر.
واستمرآ الملك و ابنه، يتحدثان في جلاء عن الحرب و أمور الحكم، في طريقهما للقصر الأبيض.
و القصر، هو من أجمل و أوسع القصور في ذلك الزمان،كان أبيضاً متيناً، و قد كان الملك و أولاده و نساءه يقعدون فيه، الصيف و الخريف حتي إذا جاء الشتاء، ذهبوا لقصر أخر يسمي القصر الشتوي، و يظلون فيه ربما حتي الربيع، أو يذهبون لقصر أخر حسب أوضاع البلاد و شدة المناخ.
و كان هذا القصر في قمة الجمال و الإبداع، ففيه الأعمدة البيضاء

الطويلة، حتي أنك إن أردت النظر للسقف المنقوش و البديع، ألمتك رقبتك من شدة الإنحناء، و شرفاته فسيحة تطل على السهول، فترى النوق ترعي على مد النصر، و العبيد رائحين و قادمين ،و تري الوفود التي تمر على الملك يومياً لشئون الدولة و الفصل في الأمور، و قد جائوا كل على لون بلده، فمنهم الشامي و الرومي و الحلبي، و منهم من العراق و الحجاز و البحرين، و بعض لقبائل النائية التي تطلب الأمان و حماية الملك.

و الملك جواد لا يرد طلبا للأمان أو دخول مملكته، ولا يقتل الرسول حتي إن كانوا من الأعداء أو ثبتت خيانتهم، فكل من يدخل بلاط الملك الضبعي، فهو أمن على نفسه و عياله و ماله، كان هذا هو حال الملك مع رعيته و أولاده. لكن غضب الملك في حينه أمر لا مفر منه، فخير لك أن تحفر حفرة بيديك، و تدفن نفسك من أن ترى عينى الملك ساعة الغضب، لكنه رغم غضبه الذى يعتريه أحيانا، فقد كان يخلو إلى نفسه و ينظر في أمر غضبه، و يفصل فيه و يعدل في أمره. و كان الملك لا يشرب أبدا، و قد كره الخمر و ما تفعله بالعقل و البدن. و قد عاقب ابنه اليفع لأنه دخل عليه مرتين مرمياً في سكرات الخمر و الخبل، و لكنه توعده إن ثبت عليه السكر و الشراب ثانية لينفينه من المملكة نفيا. و قد مرت على هذه الحادثة سنتان، و أصبح

اليفـع لا يـشرب أبـدا إلا قليـلا، إن ضعفـت عزيمتـه و قـل صـبره، و لم يكـن يفعـل ذلـك إلا في إحـدى رحـلات الصيـد سرا، و دون معرفـة أحـد. و قـد كان صديقـه عـروة مـن بنـي جنـدل، أحـد أبنـاء القـواد نديـم ولى العهـد و رفيقـه و حارسـه، وحـده يعلـم بأمـر الأمـير مـع الخمـر. لكـن مـا يدعـوا للريبـة، أن الشـخص الـذي وكلـه للتقـرب مـن الأمـير اليفـع منـذ صغـره هـو الملكـة.

{٢}

- أوه، يا مولاى الأمير، أنتظر يا سمو الأمير.

ركضت الجارية، وراء جسد صغير يركض على أرضية لماعة و شاسعة، يهبهب ثوبه الملكي ورائه، جرى الأمير الصغير غير عابئ بتوسلات الجارية، التي كانت تحمل بين يديها أخر قطعة من ثوب الأمير، وقف الأمير فجأة و سكت عن الكلام، ثم توجه بجسمه إلى الجارية قائلا بحيرة : أخبريني يا سالي، لما على إرتداء هذا الثوب، لما لا أقبال مولاى الملك بثوب الصيد.

وضعت الجارية سالى يدها على صدرها لاهثة :

- يا سمو الأمير، اليوم هو يوم وصول مولاى الملك من الحرب، و قد رفع راية النصر عاليا،و لابد أن تستقبله بلباس لائق. لقد أوصت مولاتي الملكة بذلك.

نظر الأمير ذو التسعة سنوات بثبات و قوة إلى سالى قائلا : لا تجرئ على قول ذلك أمامي ثانية، لسوف أقابل مولاى الملك بلباس العلم و القوة، بدل لباس الديباج و الذهب.

تنهدت سالى بحزن و قالت : مولاى أطلب عفوك، و لكن الأميران قيس و اليفع سوف يتجهزان مثلك، ليقفا أمام القواد و الأشراف، و تحت نظر السفراء الروم ليروا جلالة و كرم الملك على أنجاله، يا مولاى.

فقال الأمير الصغير بإصرار : أحب أن أفاخر الاعاجم، و لكني أكره التصنع و التبلد، هيا يا سالى ألبسيني هذا الثوب الخفاق، لأنهي رغبة الملك بالطاعة و الشعور بالجميل و رد الإحسان.
كان هذا شعور أميرنا الصغير، الأمير الثالث المنذر بن عرين من بني جندل في صغره.
* كانت قبيلة بني جندل، من أقوى و أكثر القبائل صلابة و عزما، و كانت هي القبيلة التي تتوارث تاج مملكة الضباع، و قد سميت المملكة بهذا الإسم لأن مؤسسها عرين الأول، كان يسمي بالظبع لقُصِر قامته و دهائه و جلده، و قد وحد عدة قبائل قوية و هي تكون أساس هذه المملكة، التي إنعزلت بحكمها عن باقي القبائل العربية المنتشرة حولها. و قد كانت مملكة قوية جدا في أوج إزدهارها، و كان معروفا أن أنجال الملك الأمراء، لابد أن يتزوجون من بنات أسياد القبائل، ليحافضوا على علاقة النسل القوية بين الملك و بين القبائل. و أيضا ليضمن الملك عدم انقلاق أحد الزعماء عليه، فقد كان العرب يشرفون بناتهم فهن شرف و مكانة القبيلة في بلاط الملك، و من تنجب له أميرا، يعلوا شأن قبيلتها و تسموا. و قد كان الملك جواد كريما يمد يديه بالجود و الرحمة، غير أنه كان ذا عقل راجح و عين ثاقبة، و كان مرحا حتي أن السفراء و الأشراف يبهتون خوفا من إبتسامته الواسعة ، ألتي

تخفـي في جنبيهـا حـد السـف الضبعـي القـوى.
* أول قبيلـة رحبـت بفكـرة الإتحـاد تحـت اسـم واحـد هـي قبيلـة بني العبـاس. كان أميرهـا هـو صهـر الملـك و نديمـه و أقـرب النـاس إليـه، و حفيـده الأن هـو زوج شـقيقه الملـك الوحيـدة زبيبـة، و هـي أميرهـا حساسـة و جميلـة الخلـق و ثابتـة الجنـان، و تحـب أخيهـا الملـك جدا، فقـد سـمع بعـض الأمـراء مـن البحريـن و اليمـن عـن جمالهـا و كريـم نسـبها و قالـوا فيهـا الأقاويـل، فالبعـض يقـول أنـك لـو بحـث فيـما بين الـشرق و الغـرب، مـا وجـدت مـن تضاهـي جـمال عيونهـا النجـلاء، بقوامهـا الأخـاذ و ثغرهـا البسـام فهـي إحـدى حوريـات الأرض. و قـد زَوَجهـا الملـك و هـي مازالـت صغـيرة جـدا، و لكـن زوجهـا مـات في إحـدى الغـزوات مـع الملـك. لـذا عـادت زبيبـة عزبـاء لقـصر الملـك، و عـادت العيـون و الأفـواه تتخطفهـا مـن كل جانـب، و قـد وقـع طريـح غرمهـا الأشراف مـن كل حـد و صـوب و لكنهـا رفضـت الـزواج. و أحبـت إبـن أخيهـا المنـذر جـدا، و أصبـح يزوهـا في جناحهـا يوميـا، فيجلسـان و يتحدثـان عـن الفلسـفة و أحـوال العـرب و العجـم، و يقـراء الشـعر و يجالسـان الشـعراء و الحكـماء، و كان المنـذر بوجـود عمتـه في القـصر، يجـد مـن يفهمـه و يشـعر بالطاقـة الملتهبـة في صدره و رغبتـه القويـة، الجارفـة في السـمو و التعلـم، أكـثر مـما تعلـم عـلى يـد أفضـل الفرسـان و رجـال العـرب و الأدبـاء. فأصبحـا معـا صديقـين

يبثـان أمالهـما و أحلامهـما لبعضهـما البعـض، و كان المنـذر و عمتـه زبيبـة في نفـس العمـر تقريبـا غـير أن زبيبـة تكـبره بثلاثـة سـنوات فقـط.

* قبيلـة بنـي ثعلبـة، مـن القبائـل شـديدة البـأس و لهـا تاريـخ مـن الخصومـات بينهـا و بـين بنـي جنـدل فيـما مـضى، و لازالـت تكـن بعـض الحقـد و الكـره لبنـي جنـدل وراث الحكـم و التـاج. و لكنهـا بـادرت بالصداقـة و قدمـت إبنـة زعيمهم كوكـب بنت حمـزة الثعلبي، للمنـذر و هـي تصغـره بسـنتين. و عـلى ذلـك، كانـت كوكـب تعيـش في القـصر الملـك و تحظـى برعايتـه و عطفـه، قـد كانـت فخـورة بنفسـها و صريحـة، و فيهـا بعـض الغـرور و تمـشي دومـا بخيـلاء. و قـد كانـت مـع زبيبـة صديقتـين و جمعـت بينهـا سـنوات المـودة و المحبـة، و كان المنـذر يقابـل كوكـب كلـما زار زبيبـة في جناحهـا. و طبعـا كان عـلى كوكـب أن تظـل في القـصر الملـك، حتـي يكـبر المنـذر و يتـم الـزواج، لـذا فهـي ضيفـة عـلى بنـي جنـدل و قـد أحسـنوا نزلهـا، و قـد منحهـا الملـك قسـما مـن قـصره مـع الجـوارى و العبيـد ،و سـخر لهـا المعلمـين و كل سـبل الراحـة التـي تليـق بزوجـة الأمـير المسـتقبلية. و لكنهـا لم تكـن ترتـاح للملكـة، و قـد جهـرت الملكـة بذلـك عـدة مـرات، بأنهـا ليسـت سـعيدة بخطبـة ابنهـا الأمـير مـن كوكـب بنـت حمـزة الثعلبي، فقـد كانـت الملكـة تخـاف أن يغـدر بنـو ثعلبـة بهـم و يقتلـوا المنـذر.

* أما بني بارف فهم قد إنقسموا لثلاثة، قسم رفض الدخول ضمن ملك بني جندل، وفضلوا العزلة لأنفسهم، و قسم قَبَلَ بذلك و كانوا كثيرين، و قسم أخد جانب المحايدة و قرر أن الأغلب من أحد الطرفين سينضون لهم، و لما رأوا أن أغلب القبائل قد دخلت تحت طاعة الملك الظبعي، استجابوا أيضا. أما البقية التي رفضت ذلك فقد عاد لخيامهم و مضاربهم، ثم انتشر بعضهم في ربوع الشام، و بالأخص في نجد لأنها كبيرة و مليئة بالقبائل ألتي لا تدخل أبدا تحت حكم أو ملك. و سوف يكون لهذه القبيلة العنيدة شأن كبير في قصتنا هذه، و لكن المهم و الجدير باذكر، أن ابنة زعيمهم و هي تدعى ظبية كانت مخطوبة لأحد أمراء اليمن الأشداء، و قد تقرر أن تفسخ خطبتها لتخطب للأمير الثاني قيس، و لكن بعض الأشراف لم يوافق على ذلك و إقترحوا أن تخطب لولى العهد الأمير اليفع.

و لكن الملك ابتسم بخبث، و كأنما الأمر جديد عليه قائلا : ذلك اقتراح حسن، غير أن ولى العهد ليس قادرا أن يتزوج أو يخطب، قبل تعينه وليا للعهد بشكل رسمي و لحضور كل زعماء القبائل. لذا سنأجل ذلك حتي تقوم يا وائل بنقل الخبر لخطيبها الأمير اليمني.

ثم أشاح الملك وجهه عن وائل زعيم بني بارف مبديا نهاية

النقـاش.

فقال وائل بن بارف : نعم يا مولاى، و هذا هو الرأى الحكيم.

ثم إنصرف غاضبا و حانقا على الملك.

أمـا ظبيـة فقـد قالـوا عـن جمالهـا، مـا فـاق وصـف زبيبـة و مدحوهـا كل المـدح، و كانـت البنـت الوحيـدة لوائـل و لم يكـن لهـا أخـوه. لـذا كانـت تعيـش في منـزل والدهـا و في عشـيرتها عزيـزة و رفيعـة المقـام، كالأمـيرات في قـصر الملـوك، و قـد كان والدهـا وائـل رغـم غضبـه السريـع و طبعـه الصلـب و القـاسي، لا ينـسى مـن يسـئ إليـه، و لكنـه كان يـذوب عطفـا و حنانـا كلـما رأى ظبيـة تبتسـم أو تناديـه بوالـدى الحبيـب، لم يكـن ليرفـض لهـا طلبـا و قـد جـرى بـين يديهـا الحريـرو المـال، و العـزة و العبيـد. فالجـوارى تحـت قدميهـا، و الفتيان و الأمـراء في الحجـاز و مكـة و اليمـن يتهافتـون لنيـل رضاهـا، فقـد كانـت مـن الأدب و قـوة اللسـان مـا يعجـز القلـم عـن وصفـه، و كانـت قـد كسـبت بعـض عـادات والدهـا في العنـاد؛ و لكنهـا لم تكـن لـترضي الظلـم، و كانـت تكـره ضرب العبيـد و تـرأف بهـم دائمـا، و لم تكـن لديهـا أخـت أو صديقـة، لأن كل بنـات القبائـل كـن يخفـن مـن والدهـا و مـن حرصـه عليهـا. فكانـت تصيـد و تقـراء الشـعر وحيـدة، و قـد شـعرت بعـض البـؤس، لأن كل محاطـة بـكل مـا تتمنـاه و لكنهـا حرمـت مـن الصحبـة، فلـم يكـن والدهـا يسـمح لهـا بالخـروج إلا

مع الحراسة الشديدة، لذا قضت أيامها بين الفروسية و الكتب و العلم. حتي خطبت لأمير يمني، كانت قد إلتقته عدة مرات و أعجبت به، و لذا وافقت عليه و قد غير خطيبها من حياتها الرتيبة التي عاشتها، كأنها في قفص يلمع بالذهب و المجوهرات. فقد كانت ترى المفتاح بين يدى والدها، الذى يخاف حتى من نفسه عليها. و وراء مظهر ظبية الهادئ و الا مبالى و العنيد، يقبع قلب خفاق للمعالى و الحرية، و في صدرها شفقة و عطف على والدها المحب، الذي حرم من الأولاد لسنوات، حتي ولدت له ظبية فوضعها بين عينيه، فكلما رأئ جمالها و فتنتها و جدائلها الجذابة و نقاوة روحها و قوة نظراتها، خاف عليها من الفتيان الطامعين بقلبها الفتي.

وبعد ان خطبت كوكب للمنذر، وجد أن الأمير اليفع وحده من يصلح ليكون زوجا لظبية، ألتى تفاجأت بالخبر عن رغبة والدها، و قد كرهت أن تخلف وعدها لخطيبها الأمير اليمني الذي كان مسافرا لبعض تجارته.

{٣}

- مولاتي الأميرة، سمو الأمير قد قدم ليراك.
بُغتت من الخبر و وقفت على قدميها بسرعة و دفعت بخصلات شعرها للوراء، و قالت بفرح :
- أدخله بسرعة.
غاب الحارس للحظات، ثم فتح الباب ليدخل الأمير مع إبتسامة براقة تذيب الصخر، و مشي دون أن ينطق بحرف نحو الأميرة، ألتي إندفعت لتحضنه بشغف و فرح، ثم قالت و هي تمسك بوجهه بين يدهما الناعمتين :
-عزيزى .. أحمد الله على سلامتك يا أميري، لقد ارتاح القلب برؤيتك يامنذر.
ضحك المنذر و قد رفرف قلبه فرحا لرؤياه لعمته زبيبة، التي بكت بشدة عندما خرج للحملة و قال :
-نعم يا عمتي، لقد عدت سالما و أحمل بين يدي رضا الملك عني.
مشت معه و جلسا على سرير واسع من الديباج و الحرير، و قالت زبيبة :

-إنها حملتك الثانية يا منذر، و قد عدت ظافرا مع مولاى الملك. و قد وصلتني أخبار الانتصار و ما حصل في البئر، عندما حاول الفرس ايقاعكم في الكمين.

قال المنذر : - نعم، و لكن كما تبين أنهم قد رصدوا تحركاتنا منذ البداية و قاموا بإغلاق البئر، لكن إحدى القبائل القريبة في الجبال، حملت على ظهور الخيل و النوق الماء لنا، و لولا أن مولاى الملك قد أكرمهم في الماضي، ربما متنا عطشا وسط الحرارة القاتلة.

فقالت زبيبة : نعم، إن حلم و حكمة الملك و فضله الذي زرعه في كل من قابله و جاوره، لنجد الأن ثمارها و نفعها.

فقال المنذر : - نعم، إني لأرى مولاى الملك يعلوا في السمو والخلق الكريم، حتي ليهيئ لى أني لست ولده بل إني عبد ضعيف يطلب الأمان و النصح منه.

فضحكت زبيبة و قالت : - يا منذر إن تواضعك و نبلك لهو دليل على أنك أمير صحيح، يفخر به مولاى الملك.

ثم قالت و هي تغمز له : ألا تسألني عن شيء، يا منذر. أم أن حب الحرب و القتال و نشوة الفوز و الطعان، قد أنستك عشق الكواكب و سحر الأميرات.

فهم المنذر ما ترمى إليه زبيبة بقولها، و لكنه قال متجاهلا

ذلك : - سأرى والدتي الملكة، فقد وصلنا للقصر أبكر مما ظننا، لابد أنها جاهزة الأن لإستقبالى.

أمسك المنذر بيد زبيبة لتقف فقالت : - نعم و على أن أنتظر حضور الملك لغرفته فأسلم عليه.

ثم ابتسمت بينما خرج المنذر من غرفتها ليرى الملكة.

خرجت يد مرتعشه من خلف ستارة سميكة تفصل جزء من غرفة زبيبة، و قالت زبيبة بعطف :

-أخرجي يا كوكب، فقد خرج الأمير ليلقي الملكة.

ظهرت كوكب من خلف الستارة، و مشت بهدوء مشتتة الفكر محمرة الوجه، فقالت لها زبيبة بحنان : - تعالى يا عزيزتي و اجلسي هنا، ها قد رأيته يا كوكب، و قد عاد و هو صحيح البدن معافي. فهل إرتاح قلبك و هدء خوفك.

إبتسمت كوكب بفرح، و قالت لتخفي خيبة الأمل في عينيها : - نعم و الشكر لكي يا سيدتي، لقد إطمئان خاطرى على الأمير، فما كنت سأراه إلا بعد عدة أيام في الإحتفال بعوده الملك.

نظرت زبيبة تشتشف ما في كوكب من حزن و خيبة من عينيها، اللتين تمسك فيهما الدمع، و همست لها و هي ممسكة بيدها : - الأمور تصير باللين و الصبر، و إن لم يقل منذر شيئا فلخجله أو انشغال عقله، بما جال أمام عينيه من أمور الحرب. يا كوكب، و

إنكي تعلمين أن منذر أمير حرب،و ليس أمير عشق و غرام. و إنما تستهوبه الرماح و السيف، و يجذبه لمعانها تحت أشعة الشمس، و لا يبالى بالعيون المكحلة و الثغور الباسمة.

فقالت كوكب و قد تذكرت كرامتها و عزتها : - إن الأمير ليس في قلبه مكان للكواكب يا سيدتي، و قد عرفت ذلك منذ زمن يا أميرتي. و لست أطمع في ابتسامة منه أو نظرة محبة، و إنما أنا أغبط نفسي على نصيبي الذي لن تطاله فتاة مثلى، و لو تمنت و حلمت.

ثم نزلت دمعة من عين كوكب أخفتها بالنظر إلى الشرفة، و قالت : لست أكذب عيني، فالأمير لم يخفق قلبه لغير السياسة و الأدب، و لم يجل في ليله غير لمعان المعادن و قوة السواعد. الأمير المنذر لا يخجل، و أنتي تدركين تماما فصاحته و قوة لسانه و صريح عبارته و ثبات إرادته. إني أراه يعلوا أمامي و يزداد لمعانا و بعدا، و ليس في مقدورى الحصول على لفته منه أو نظرة تطفي هذه النار في قلبي.

ثم وفقت و مشت للشرفة، فرأت المنذر يركب أحد الأفراس مع الأمير قيس يبتسمان و يتحدثان ثم انطلقا معا، يعدوا ورائهما العبيد و الخدم و الحرس. نتهدت ناظرة إلى خياله الذي يبتعد عنها و لا يبالى بها تذوب كل يوما وما من طبيب.

{٤}

- ما الأمر يا صوفي، لما العجلة، إهدئ و حدثيني عن الخبر.

لهتث بخوف، و هي تضع يدها على صدرها قائلة :

- مولاى، سيدتي، إن سيدى يقتل بارق من الضرب و الجلد، أرجوك أنجديه يا سيدتي.

خفق قلب ظبية خوفا على بارق، و هو خادمها الأمين، و كانت ظبية تعلم تماما أن والدها إذا غضب لا يهدأ حتي يقتل العبد. و مشت ظبية للخارج لتجد والدها يضرب العبد بارق على ظهره بالسوط ،حتي أن جلده بدأ يتطاير و قد تقطع به الألم حتي لم يعد قادرا على الصراخ، ارتعشت ظبية و مشت نحو مضارب الخيل و نادت : مولاى، مولاى.

نظر وائل بن بارف إلى ابنته التي وقفت بينه و بين العبد بارق، و قالت بعطف : - مولاى، أما ترأف به، فقد فعل ذلك ظنا منه أني أريد الراحة و الخروج من القصر، أسئلك بكوني ابنتك أن تعفو عنه و تحيله ليخدمني.

فقال وائل و قد تطاير من عينه الشرر غضبا، و تشعثت لحيته غيضا : - ليس لعبد في منزل بارف أن يفعل ما يظنه خيرا لسيده.

فسكتت ظبية و وضعت يدها على ذراع والدها مبتسمة :
- مولاى،مـولاى، لقـد كنـت مريضـة و قـد سـمعني بـارق أهـذي، فخـرج في جنـح الليـل ليلبـي طلبـى و رغبتـي و قـد سـعدت بوفائـه و إخلاصـه، ارحمـه يـا والـدى العزيـز، ودعنـي أسـتعمله لخدمتـي.
فسـكت والدهـا و رمـا السـوط، و قـد جمـد كل العبيـد، و الخـدم و الجـورى خوفـا مـن صـوت خطـوات وائـل سـيد بنـي بـارف و زعيمهم الصلـب، الـذي لا يعـود في أمـر يقـرره أو رأي، إلا إن رأى عينـي ظبيـة السـوادوان و سـمع صوتهـا الرحيـم ، فهـي ابنتـه الوحيـدة و فلـذة كبـده. حتـي رجـال القبيلـة لا يجـرء أحدهـم عـلى الـكلام معـه، إن إسـتبده بـه الغضـب و الحنـق و طـار عقلـه سـوى ظبيـة.
- مولاتى، لست سوي عبد لسيدي.
قاطعتـه ظبيـة بشـفقة قائلـة : - ارتـح يـا بـارق، و لا تعـد لعمـل شيء قبـل أن تتأكـد أني أريـده، و الأن يـا صـوفي إعتنـي بـه و داوه حتـي يتحسـن.
ابتسـمت صـوفي بفـرح و قالـت : أمـرك يـا مـولاتي، لقـد شـملتنا كلنـا بعطفـك و رحمتـك.
ثـم توجهـت صـوفي إلى بـارق و سـاعده عـلى شرب بعض المـاء، و تقدم عبديـن ليحملاه إلى غرفـة خلـف المنـزل ليسـتريح فيهـا، مشـت ظبيـة لغرفتهـا و هـي تفكـر في أمـر والدهـا، الـذي منـذ أن أَجَـلَ الملـك أمـر

خطبتها بالأمير اليفع ، و هو على شفة الغضب، و يرمي بكل ما في نفسه من غيظ على العبيد ان رأي أتفه خطأ.

و بينما هي تفكر في والدها، إذ سمعت صوت الخيول و العبيد يركضون، فأقتربت من شرفة غرفتها بعد أن دَلَفتْها ورأت رجلا يترجل عن فرسه، و كان لباسه غريبا، و عرفت على الفور أنه معن بن قيس اليمني، أمير إحدى قبائل اليمن القوية. و هو خطيب ظبية منذ سنتين، و لابد أن والدها سيكلمه بشأن فسخ الخطبة الأن. وضعت ظبية يدها على قلبها خوفا، فوالدها غاضب الأن و أمير اليمني عنيد، فقد لاحقها طويلا حتي رصخ وائل لخطبتها له. دخلت صوفي لغرفة ظبية، و علا وجهها الذهول و الحيرة، و قالت : سيدتي.

فقالت ظبية بضجر : مالكي يا صوفي اليوم، أليس في يدك خبر يسر القلب.

سكتت صوفي و أنزلت عينيها و سألت سيدتها :

- و هل سيدتي ترفض رغبة سيدى وائل؟ أم أن لكي رأيا أخر؟

تنهدت ظبية و قالت : وأي رأي لي يا صوفي, إن والدى و مولاى لا يرفض لي طلبا أو رجاء، إلا فيما يتعلق بالزواج فليس لى رأي فيه.

سكتت ثم تابعت بأسي : لقد كتب على صفحة القدر، أن ظبية تعيش حياتها لتنقذ الغلمان و العبيد من سوط و الدى، و لا تجد

مـن ينقذهـا مـن سـوط وائـل بـن بـارف.
فقالـت صـوفي بعطـف : مـولاتي، إنـكي تنعمـين بمـا لم تحصـل عليـه أي فتـاة مـن بنـي بـارف، فكيـف ينقصـك الصـبر و ينعقـد لسـانك الفصيـح، و صوتـك العـذب عـن إتيـان سـيدى وائـل بخيـارك، و للبـث في رأي قلبـكِ يـا مـولاتي.

نظـرت ظبيـة إلى صـوفي الجاريـة الروميـة، التـي اعتنـت بظبيـة بعـد أن ماتـت والدتهـا في صغرهـا، و قالـت : صـوفي، تعلمـين الـرأي لوالـدى في ذلـك، و لسـت أكـره الأمـير اليمنـي، و لكنـي أنـسي أنـه خطيبـي مـا إن يعـود لوطنـه، أنـسي و يختفـي وجهـه مـن ذاكـرتي فـورا و كأنـه لم يكـن، يعـاودني هـذا الفـراغ. فالحيـاتى أصبحـت مملـة و راكـدة و لـولا الكتـب و الصيـد، و لـولا النسـيم و السـماء لمـت منـذ زمـن. نعـم يـا صـوفي، إني أمـوت و أذبـل دون أن أجـد مـا يشـغل عقـلي و روحـي، فألبـي نـداء قلبـي بالصيـد و القنـص، و يعـاودني الضجـر و الملـل، فأبحـث حـول الشـاعر هـذا و أقـرأ الكتـاب ذلـك ، و لكـن قلبـي ظـل مَلُـولًا لا يجـد مـا يبـذل في سـبيله طاقاتـه و شـبابه.

طفـرت دمعـة في عـين صـوفي، و مشـت لترتمـي عنـد قدمـي ظبيـة و قالـت : كيـف تقولـين ذلـك، و لديـكِ والـد محـب و عطـوف يخـاف عليـك مـن الريـح إن هبـت، و لـك النسـب و الجـاه. و الـكل ينثنـي عنـد أصلـك و جمالـك، بـل إن فتيـان الشـام و مـا حولهـا لا يـرون

عينيـكي الكحيلـة حتـي يقعـوا صريعـي هـواك.
فقالت ظبية : و لكن يا صوفي، هل بينهم من قال كلمة.
فصمتت صوفي و لم تحر جوابا.
- هـل فيهـم مـن ملـئ حيـاتي شـغفا، أم طلـب مـودتي، لا، لا يـا صـوفي. إني لا أعـرف عـن نسـاء بنـى بـارف إلا القليـل، فوالـدى العزيـز لا يتركنـي أخـرج لمـكان حتـي يضـع الحـراس و السـيوف تحـت قدمـي، لتحمينـي مـن دبـوب النمـل تحتـي، تكلمـي يـا صـوفي.
لم تقـل صـوفي شـيئا حتـي سـمعت ظبيـة صـوت العبيـد يشـدون الفـرس، فركبهـا الأمـير اليمنـي و قـد بـدآ عـلى وجهـه الغضـب و إحمر حتـي كاد ينفجـر، و همـز فرسـه و خـرج بسرعـة ينـثر الهـواء خلفـه. ثـم دخلـت إحـدى الجـواري و أعلنـت أن سـيدها، وائـل يطلـب مـن ظبيـة النـزول ليكلمهـا.

{٥}

- إسقني، إسقني المزيد يا عروة، و لا تبخل على سيدك.

ابتسم عروة بخبث، و قال للأمير اليفع و هو يصب له الشراب في الكأس : سمعا و طاعة يا مولاى، لست إلا عبدا لمولاى الملك و لأنجاله و للمنذر.

فنضر اليفع إلى كأسه، و قد ذهب عقله مع الشرب و تمتم : المنذر و الملك.

ثم وقف على قدميه مترنحا، و قال رافعا كأسه :

- في صحة الملك، و المنذر أيضا.

فقال عروة بضيق : لما يا مولاى أرى الملك يفرق بين أنجاله، فهو يحدث قيس عن كل ما يقرره، حتي قبل معرفتك يا سيدى، أما المنذر فهو أمير القوم، و الكل يشهد على شبهه بالملك.

فصرخ اليفع و ضرب الطاولة، فقلبها و اتسخت السجادة بالطعام : آاااه، يشبه الملك، نعم ، أما أنا فلست سوى أمير سكير. نعم يا عروة الملك يفضل قيس و المنذر على ولى عهده، أنا .. أنا.. ولى العهد، لماذا ؟ الكل، جميعهم يا عروة.

فقال عروة : ماذا فعلوا يا مولاى؟

فقال الأمير، و قد مد يده ليأكل الطعام المرمي على الأرض :

ينظـرون إلي بتلـك النظـرة المليئـة بالشـفقة و العتـب. عـروة، لا بـد مـن نهايـة لذلـك يـا عـروة.

فقـال عـروة همسـا : نعـم هنـاك نهايـة لـكل شـيئ يـا مـولاى، و لكـن الأن مارأيـك في نـوع جديـد مـن المتعـة؟

ثـم وقـف و فتـح البـاب، لتدخـل إحـدى الجـوارى، و وقـف فنظـر إليهـا الأمـير و ابتسـم بمكـر : نعـم، لـكل شـيئ نهايـة.

- لا، لا يا ماريا، ليس الأن، سننتظر قليلا حتي يهدأ الوضع.

تقدمـت ماريـا و وضعـت كـوب مـاء قـرب مولاتهـا، و قالـت بهمـس يـكاد لا يسـمع : إن بعـض الأخبـار وصلـت عـن الأمـير اليفـع.

التمعت عينا الملكة ببريق، و قالت مخفضة صوتها : تعالى معي.

مشـت الملكـة إلى الفنـاء، و جلسـت تحـت قبـة واسـعة مكشـوفة، لتدخـل أشـعة الشـمس و الهـواء، جلسـت بجـلال بينـما أشـارت لماريـا أن تجلـس عـلى وسـادة عنـد قدميهـا، و قالـت : متـى وصلـت الأخبار؟

- في منتصف الليل يا مولاتي.

- و هل فعل ما أمر به.

- نعـم يـا مـولاتي، لقـد حصـل ذلـك تمامـا. لقـد قـام بزيـادة جرعـة

الـشراب في طعـام الأمـير، حتـي عـاد للـشرب ثانيـة دون أن يلاحـظ ذلـك.

ثـم ابتسـمت ماريـا بخبـث، بينـما سرحـت الملكـة في أفكارهـا و تأملاتها،سـألت الملكـة بعـد لحظـات :

كيف رأيتي كوكب بنت حمزة الثعلبي؟

فقالـت ماريـا : إنهـا كـما هـو حلهـا دئمـا، إمـا عنـد الأمـيرة زبيبـة و إمـا أنهـا تبـكي وحدهـا في غرفتهـا.

فنظـرت الملكـة متعجبـة مـن كلام وصيفتهـا الروميـة، و قالـت : كيـف لخطيبـة ابنـي الأمـير منـذر أن تقـضي ليالهـا في البـكاء؟ و خطيبهـا هـو أشـجع الفرسـان و أعـز العـرب و قاهـر العجـم، أ تبـكي حظهـا، أم أن للأمـر جوانـب أخـرى.

تبسمت ماريا، و أجابت : بل له جوانب أخرى يا مولاتي.

فقالـت الملكـة فـورا : هـل قلـب كوكـب مشـغول بأحـد غـير ابننـا المنـذر؟

فعبسـت ماريـا، و قالـت : لا يـا مـولاتي، و لكـن للأمـير قلـب لا يـرى جمالهـا أو يحسـن بغرامهـا.

فقالـت الملكـة و قـد انطفـئ الأمـل، في عينيهـا : لقـد أحسـن ابننـا المنـذر الفعـل.

فسـألت ماريـا : لمـا لم يرفـض مـولاى المنـذر هـذه الخطبـة؟ إن لم يكـن

راغبا في كوكب كزوجة له.
فنظرت الملكة بتعالى إلى ماريا، و قالت بحدة : إن المنذر لا يهتم لشئون الهوى و الحب، بل يفكر في الفائدة من هذا الزواج للمملكة، فبني ثعلبة قبيلة ذات بأس و قوة، و قد بذل ابنهم لبيد بن حمزة الثعلبي روحه و دمه في سبيل الملك، لذا على الملك أن يكافئهم بزواج ابنة الزعيم من أميرنا المنذر، كما أن المنذر لم يخفق قلبه يوما لأحد.
سكتت الملكة، و تابعت : سيظل المنذر أميرا مفيدا لى، إن ظل على هذه الحال.
فقالت ماريا : و ماذا لو خفق قلبه لأحد يا مولاتي، أليس يعصى أوامر الملك، و يرفض الزواج بكوكب.
فقالت الملكة بهدوء : إن خفق قلبه لفتاة تكون سبيلا لمساعدتنا فنعم، و إلا فسأخنق هذا الحب منذ ولادته.
و لمعت عينا الملكة بالكره، عندما لمحت شهرزاد والدة الأمير قيس تمشي في الحديقة و حولها الجوارى. حيث أن الملك يحبها و قد سعد جدا عندما أنجبت له أميرا. همست ماريا : رغم أنك يا مولاتي قد وضعتي سماً في طعامها فيما سبق، و لكن الأمير وُلِدْ و قد كبر الأن، لقد قدر له أن يعيش.
فتبسمت الملكة، و قالت : و لن يعيش طويلا يا ماريا، ثم وقفت

عائدة لغرفتها، و مشت ورائها ماريا و قالت الملكة : لقد اقترب موعد السفر، سوف نودع شهرزاد و ابنها المسكين قريبا.
ضحكت ماريا و هي ترى سيدتها تمشي بخيلاء، إلى غرفتها، و قالت للملكة : نعم يا مولاتي، لقد سخرت الجن لأداء هذه المهمة.
فقالت الملكة : بل سخري جنود سليمان لها إن لزم الأمر يا ماريا، و لَدَي الذهب لا يساوي في عيني شيئا، مقابل هذا الأمر.
* أما شهرزاد فهي إحدى جوارى الملك، أحبها وتجوزها ليرضي نفسه، وخطب بعدها سمية بنت الأخشب بن عباس، ليرضي العرش وبني العباس، في وقت إحتاج لرجال قبيلتها، ولدت له الأمير المنذر.
أحب الملك ولديه قيس و المنذر جدا، و رأى فيهما القوة في إعلاء اسم الملك، و لكنه قد شعر بالخذلان من تصرفات ولى العهد. الأمير اليفع قد خيب ظن الملك مرتين رأه الملك فيهما سكرانا، و حوله الجوارى و المزامير و الطبول، فغضب بشدة و قد كان ينوى أن بجعل قيس، هو ولى العهد و لكن ضعف جسمه منعه من ذلك. لأن شهرزاد عندما كانت حاملا به قد أكلت طعاما مسموما فأثر على صحته، فكان يتعب من الركض و هو صغير، رغم أنه يأكل كثير و لم يكن يمتلئ جسمه، بل كان يزداد نحولا، و لكن عينيه و عقله و قلبه كانت كلها أقوى و أصح من أن

يأكلها السم، رفع مكانه و مدحه الأدباء على فصاحته و ذاكرته القوية و حسن تدبيره، و كان قد وضع عدة خطط حربية للملك في حربيه مع الفرس، و في حربه مع بعض القبائل الأخرى، و كان هو من أشار عليه أن لا يجوز الأمير اليفع، لأنه خاف أن يفتضح أمره فيصغر في عين الزعماء و العشائر. و من جهه أخرى لأن نار الحسد و الغيرة ستعمي بعض العيون، فكل قبيلة تريد أن تصاهر الأمير ولى العهد، فتكون هي المسيطرة عليه إن لم يعد لرشده، و قرر الملك عندها الأخذ برأى ابنه قبس و خطب المنذر لكوكب، بعد أن مات شقيقها لبيد. عندما مات متصديا عن المنذر بجسده فتلقي سهما مسموما، و ساقط في نهر الفرات الذي ابتلع المئات من اكباد الأمهات في جوفه. لكنه لم يكن رحيما بهم ولم يرجع أحدا منهم الي النائحات عليهم في الشواطي، ولم يكن شجر اليقطين في انتظارهم.

رضا المنذر بذلك لأن ذلك في مصلحة المملكة، كما أن لبيد كان صديقا للمنذر، و قد خرجا عدة مرات. فتصاعد شعوره بالعطف والعرفان على كوكب، وحاول رد الجميل بحفظ مكانها والتخفيف عنها بعد فراق اخيها، متوسما فيها أخت له فتفاجئ بما يفوق مشاعر الاخوة، ترتسم أمامه ولم يكن رد خطبة الملك امرا متاحا في حظور أمراء بني العباس، كما أنه ثمن بخس امام تضحية

لبيـد.

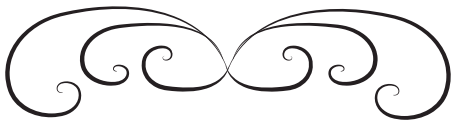

{٦}

أرسـلت زبيبـة في طلـب ظبيبـة تدعوهـا للقـصر، فوصلـت لظبيبـة الرسـالة بعـد يومـين، فقرأتهـا متعجبـة و قالـت صـوفي : مـولاتي، لابـد أن الأمـر يمـت بصلـة بالأمـير اليفـع.

سـكتت ظبيبـة و هـي تتوجـس شرا مـن الذهابهـا للقـصر، لكنهـا تجلـدت و أعْلمـت والدهـا بدعـوة الأمـيرة. فقـال وائـل : ذلـك متوقـع يـا بنيتـي، فأنتـي سـليلة الـشرف، و ابنـة بنـي بـارف التـي سـتتزوج بالأمـير ولى عهـد المملكـة، اذهبـي يـا ظبيـة و ارفعـي شـأن والـدك و قبيلتـك.

سـكتت ظبيـة و هـي لا تـدري بمـا تـرد عـلى والدهـا الـذي اسـتبشر خـيراً مـن ذلـك.

جلسـت زبيبـة عنـد شرفتهـا مـع كوكـب تتحدثان حـول ظبيـة، فقالت زبيبـة : سـمعت مـن بعـض الوصيفـات أنهـا لا تخـرج كثـيرا، فوالدهـا وائـل بـن بـارف سـيد قومـه، يخـاف عليهـا نسـمة الربيـع.

فضحكـت كوكـب، و قالـت : بـل سـمعت أنـه يغـار عـلى ابنتـه مـن أحـد العبيـد قـد رأفـت بحالـه، فضربـه حتـي كاد يقتلـه.

فتبسمت زبيبة من قولها : ربما يكون ذلك غلظا من الجواري و العبيد يا كوكب، فقيل عن جمالها و أدبها ما يغني عن الكلام، و يغمر الجنان و يطلق اللسان الكتمان، ليتغني بعينيها الكحلاء الجميلة، و قد قال الغلمان أنها إن خرجت من منزل والدها، تجد الفرسان و الفتيان ملتفين حولها كإلتفاف النحل من الأزهار، فينهلون من رحيق جمالها، و لا يروي لهم ظمئ و ليس في مقدورهم طلب يدها من والدها.

فتعجبت كوكب من كلام زبيبة، و قالت : لا أظن في الخافقين من هو أجمل من أميرة الضباع يا مولاتي، مهما قيل فيها، فأنتي أية الجمال التي تزين قصر مولاى الملك.

فعبست زبيبة، و قالت ناظرة إلى الأفق أمامها : و ما مصير الجمال سوى الذبول يا كوكب، فلا يبقي شيئ منه فيظل وحيدا فقير للحب، و ضائعا في متاهة الماضي الذى حرق أرواح العذاري اليائسات.

تأملت كوكب ناظرة بعينيها لقلب سيدتها زبيبة الملئ بالذكريات، فتحاول كوكب أن تروح عنها فداعبتها، قائلة : يالى قلبي المسكين، فالأمير منذر يراسلك باثغره البسام و يحدثكي يوما بعد يوم، و أنا هنا لا طائل من بقائي، و أخاف يا مولاتي أن تأكل الغيرة قلبي الضعيف.

فضحكت زبيبة منها و قالت : إن أردتي أن ينظر إليك الأمير منذر بعين الرضا و الحب، فعليكي أن تريه ما يحب أن يراه يا كوكب.
فهامت كوكب في أفكارها، و تمتمت متسائلة : و ما الذي يحب مولاى المنذر أن يراه يا سيدتي.
فقالت زبيبة باسمة : يحب أن يرى زوجتة فارسة قوية، تمارس الصيد و كأنها رضعت حليب الذئاب و ترمي الغزلان بالرماح فتخرق قلبها بحدة، يجب أن يراكي زوجة تستهويها المعالي و المفاخر يا عزيزتي.
سرحت كوكب في الفضاء، و قد أصبح لون السماء أحمر قانيا مع غروب الشمس، و قالت : و كيف السبيل لذلك؟
فقالت زبيبة مبتهجة : بعد شهر ينتقل الملك للقصر الشتوي يا كوكب، و هناك يقام احتفال كبير. و تقام مسابقة تشارك فيها كل الأميرات و الوصيفات و بنات الأسياد، وإن سمح الملك ربما تشارك الملكة أيضا.
فقالت كوكب : لا أتصور مولاتي الملكة بلباس الفرسان.
فقالت زبيبة مؤكد و محذرة : توخي الحذر، فهي ابنة الأخشب بن عباس، وإني لأذكر فرسان العباس يقيمون فراسة نسائهم بفراسة وشجاعة الملكة سمية، و مهارتها في رمي السهام وإصابة الأهداف المتحركة، إنها فارسة عربية لا تشوبها شائبة. لولا أنها لم تخرج

للصيد منذ فترة طويلة، لكنتي شهدتي بعيني على فراستها.
ثم استمرتآ تتحدثان حتي انتصف الليل، فعادت كوكب لغرفتها و نامت. و هي تحلم بأحلام مفزعة، فنهضت ليلا و مشت تريد الشرفة لتتنفس الهواء النقي، وضعت رداء ثقيل على كتفيها، فداعب نسيم الشتاء شعرها الناعم فتطاير مبتعد عن كتفيها، و فكرت في حالها ثم قالت : إلى متي ينغص الغرام على مضجعي، و يسرق أحلامي؟
أنصتت فلم تسمع أى رد من الليل، فعادت لفراشها و حاولت أن تنام من جديد.

{٧}

- مولاتي لقد أصبح جناح إبنة بني بارف جاهزا.
إبتسمت زبيبة ،و قالت : بقي ان ننتظر مجئ الضيفة علينا.
فسمعت من شرفتها عدة أصوات، فدخلت الوصيفة و قالت : لقد وصلت يا مولاتي.
فقالت زبيبة : مرحبا بابنة وائل بن بارف، ظبية، إن لإسمها وقعا سيحبه منذر حتما، اذهبي و دليها على الغرفة الأخرى.
خرجت الوصيفة مسرعة بينما ظلت زبيبة مشرقة الوجه، و فرحة بالتعرف على ظبية.

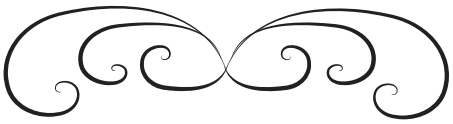

رفع السيف عاليا، و صرخ بأعلى صوته : من يرافقني لأستعيد حقي، و أرد شرفي، أنا معن بن قيس أمير اليمن و سيدها.
فرفع الرجال و الشيوخ سيوفهم، و قالوا : متي ما رفع سيدنا و أميرنا سيفه على عدو، فنحن أسبق إليه من يده.
و على ذلك خرج الأمير اليمني إلى المملكة الضبعية، و قد ساءه كل ما فعله حتي إستطاع خطبها، و ها هو الأمير اليفع يحصل

عليها، و بكل لين و شفقة من وائل بن بارفي، لقد سمع معن كثير عن هذه المملكة و لكنه لم يهتم يوما بشأنها، حتي دخلت قبيلة بني بارف تحت حكمها، تعجب معن أشد العجب لما سمع ذلك. و تحدث شيوخ و الفرسان اليمن عن خضوع بني بارف للملك العربي، فهم ينظرون إلي الملك على أنه عامل للروم ، و لم يكن أحد يستطيع أن يتصور أو حتي يفكر للحظة أن وائل بن بارف يحني رأسه لملك حتي رأي معن ذلك. و رأي بعينه تمسك وائل بظبية، و رغبته في أن تكون ولية العهد على قبائل الشام و البحرين و الحوران و بعض قبائل نجد النازحة، التى هربت من بطش الحرب و من الدمار الذي لحق بها بعد حرب المهلهل بن ربيعة على بني مره. و بات معن ليله و نهاره حانقا على بني جندل، و بني بارف بل على كل من خضع و جاور الملك الضبعي، و أخذ ينفخ في صدور رجاله و فرسانه روح الإنتقام ،و رد الشرف و الأخذ بثأر كرامته النازفة و قلبه العليل.

فهو المعن أمير اليمن و سيدها, الفارس الشجاع، الذى خلف والده على الزعامة و كان أهلا لها. و لكن حبه لظبية و هيامه بعينيها، جعله يدفع النوق بالألاف و النعام و المال و الذهب و الحرير، من كل بقاع اليمن و العراق ليمشي به إلى ظبية و يخطبها من وائل. و لكن وائل رفض قائلا : و هل يصلح زوجا

لظبيـة، إلا مـن يعـترف بفراسـته الأسـود مـن بنـي تغلـب.
* و كان الأسـود مـن بنـي تغلـب أمـيرا قويـاً شـجاعاً و شـاعرا فصيحـا، و جميـل الوجـه طويـل الجدائـل.
تحنـي الفرسـان رؤوسـها إحترامـا و إجـلالا لـه، و كان جـواداً، حتـي أنـه كان يومـا نـزل عليـه رجـل يطلـب بعـض المـاء ليسـد عطشـه فأكـبر عليـه الأسـود، أن تقـوم عشـيرته بطـرده فتتركـه يجـوب الصحراء وحيـداً، فأكرمـه الأسـود و زَوجَـهُ بابنتـه الصغـرى، و منحـه منـزلا تجـرى فيـه النـوق و تسـابق الفهـد، و سـقاه مـن لـبن النـوق و كسـاه و أجـزل في اكرامـه حتـي تحـدث القـصى و البعيـد و الشـاري و الراكب بكرمـه. فهبـت العـرب إلى منزلـه الرحـب تطلـب منـه سـد ديونهـا و تزويـج فتيانهـا، و لم يكـن الأسـود ليرفـض طلبـا لرجـل كان أو إمـرأة دخلـت منـزل الكـرم، منـزل الأسـود التغلبـي.
فخـرج معـن و زار الأسـود، و أخـبره بخـبر وائـل بـن بـارف، فارسـل الأسـود إلى وائـل مـع أحـد أبنائـه، يقـول لـه: لديـك أحـد فتيان الأسـود بـن تغلـب، فـإن شـئت قبلـت بأمـير اليمـن زوجـا لكريمتـك ظبيـة و أدعنـي لحضـور زفافهـما، أو أقتـل ولـدى هـذا و ندخـل حربـا بيننـا لا قبـل لـك بهـا.
فضحـك وائـل بشـدة مـن رسـالة الأسـود هـذه، و أكرمـة ابـن الأسـود و عـاد إلى أبيـه، مـع خـبر خطبـة معـن لظبيـة بنـت وائـل بـن بـارف،

و قد كان صديقا للأسود و لو طلب من وائل أن يرسل ظبية خادمة لابنة الأسود لفعل وائل ذلك راضيا. و عاد معن من منزل الأسود سعيدا هانئا مع ألف ذهبة و عشرين فرس حمراء و مئة ناقة، كانت كل مالدى الأسود وهبها له فيقدمها معن مهرا لظبية، و سمعت بني بارف بخبر خطبة ظبية فقام وائل بتقسيم المهر على ظبية و على أبناء عمومته، و كل من جاء ليبارك خطبتها بالأمير اليمني، و علا شأن الأمير اليمني بعد ذلك، و يئس الفرسان الذين كانوا يأملون في طلب يدها من وائل، فأضحت ظبية أميرة اليمن قبل ان تخطوا بقدميها ارضها.

علا صوت زبيبة و هي تضحك، و قالت : أقعدي أهلا و سهلا يا ظبية، أهلا و سهلا بك في قصر الملك.

انحنت ظبية و قبلت يد زبيبة، و قالت باسمة : لم يرى بشر في كل الجزيرة أجمل من أميرة بني جندل، لقد بخسك الشعراء حقك، و عجز اللسان عن وصف الخلق الكريم، لقد منحتني ابتسامتك و رضاك و هذا كافي يا مولاتي.

جلست ظبية علي مخدة من الديباج الأحمر، المطعم بالنقوش

الصفراء حيث أشارت لها زبيبة قبالتها لتقيمها، وتنظر في عينيها، وأرسلت سمعها كله لزبيبة، والتي قالت وقد نزلت ظبية في قلبها موضعا عميقا، فأحبتها و قربتها : دعي عنك شعر الشعراء، فما هو إلا ساعة هيام، و ما تغني الشعراء بالصبابه و الشاب إلا لفناءه و قصر عمره، و لو كان الجمال طويل العمر، ما علا شأنه و لا ذكره الذاكرون.

فقالت ظبية بخجل : و إن لم يذكر جمال أميرة بني جندل، فجمال روحك و سماحة قلبك، لتعبق في كل أرض كعبق الزهر و الورد في النفوس.

فضحكت زبيبة من كلامها، و قالت بفرح : إن كنا نتحدث عن الورد و رائحة الزهور، و خفة الأغصان يا بنت بارف، لكان لكى الحدائق الغناء و لسميت البقاع باسمك يا ظبية، ولَمَا أعطوك حقك في نحت الخالق لوجهك البهي.

فعلا الخجل وجهه ظبية، و سعدت إينما سعادة بترحيت أخت الملك لها، و هي في مثل عمرها لولا أن ظبية أصغر قليلا، فحب الملك و بلاده و أخته بدأ ينمو في قلب ظبية، و يستوطن حتي ظنت أنها تكلم أختا لها لا مولاتها، استمرت زبيبة تكرم طبية و تطوف بها في الحدائق و الشرفات، و تدعوها في كل جلسة ، وقابلت كوكب بعد يومان من حضورها للقصر في الحديقة، على

سرير من الحرير محشوا بريش النعام، فيظن الجالس عليه أنه يطوف بين السحاب، و قد كانت الجوارى الوصيفات ينحنين للأميرة و يسلمن على ظبية و يكرمنها، بعد أن حازت على رضا الأميرة الطبعية. و هل في مملكة عرين كلها من لا ينحني لأميرة بني جندل، و هي لها الكلمة النافذا في قصر أخيها، تدير شئونه كيفما تشاء، و حتي الملكة بنت بني عباس تنحني للأميرة ذات الدم الملكي.

- مالكي يا ظبية قد غلب البهوت على وجهك.

فردت ظبية و قد سرحت بفكرها في جمال المنظر، و قالت ردا على كوكب : لقد أخذني فضل مولاتي لأعلى مراتب النعيم، فصغرت نفسي و امتلئت شعورا بالعرفان و رغبة في الطاعة و حبا للملك و شقيقته.

تبسمت كوكب، بينما قالت زبيبة : و نزيد في العطاء و المنة، يا ظبية فأنتي منذ اليوم أخت لنا و لكوكب، و تمثلين أمام الملك غدا في البلاط.

فقالت ظبية متفاجأة من ذلك : لست إلا عبدة لمولاى الملك.

فقالت زبيبة، و قد ازدادت فرحا و انشراحا : و تشاركين في مسابقة الفراسة، و ترفقيننا حتي القصر الشتوى، و لا تخرجين من قصرنا حتي يأمر سيد القصر.

فقالت ظبية : ما كنت لأقول أني أهل لذلك، لقد أغرقتني بفضك يا مولاتي، فالأمر لكي و الطاعة لنا.

ثم انحنت في جلستها، و قبلت رداء زبيبة فقالت الأميرة : حدثينا يا ظبية عن قومك، فنحن نريد أن نزداد علما بأختنا بنت بارف.

ففرحت ظبية بذلك، و قالت : بني بارف يا مولاتي عبيد للملك يصغرون رؤوسهم لطاعة الملك، و نبذل أرواحنا في راضك و راحتكي، و لست أخفي أمرا، و لكن قومي أناس شداد في أمور الزواج، فالفتاة منا يخطبها الخطباء و الوجهاء، و إن كانت أفقر أهل الأرض لا يوافق أهلها، حتي يشهد القريب و القصى على أحقية الفارس بالفتاة.

فقالت كوكب، بايتغراب مصطنع : لقد وصلنا أخبار أمير اليمن، و ما حدث من أمره مع الأسود من بني تغلب.

فقصت ظبية على كوكب و زبيبة قصة خطبتها بالأمير ليمني، حتي انتهت فعجبت كوكب أشد العجب، و قالت كوكب : أبعد كل ذلك نراه لا يرفع صوتاً، و يرضى بالذى جرى من وائل بن بارف.

فسكتت ظبية، و لكن زبيبة قالت بحزم : و هل يجرؤ أحد من اليمن، على رفع صوته اعتراضا على قضية تخص مولاى الملك ؟ و إن كان لم يفصل فيها.

فقالت كوكب متداركة خطئها: إن لتأجيل الفصل في القضية يا مولاتي، حكمة يعرفها الملك وحده.
فقالت زبيبة : و لا يلبث مولاى الملك حتي يعلن قراره فيها.
فخفق قلب ظبية خوفا من ذلك، فهي لا تعلم شيئا عن الأمير اليفع، لولا أن بعض العبيد قد تكلموا عنه بأمور، كأنه قد صغر في عين الملك لما رأه مغميا عليه من حمى السكر. فرأت زبيبة اصفرار و سكون ظبية، فأرادت أن تعرف خفايا قلبها و من يشغل بالها فقالت : و بما تشغلين أيامكِ يا ظبية ؟
فقالت ظبية : أشغلها بما ينشغل الفتيان، من ركوب الخيل و القنص و الصيد، و أروح عن نفسي بالشعر و حديث الحكماء و قصص الفلاسفة، التي لايكاد عقلى يستفهم معانيها العميقة، حتي أجدني أجول في خفايا النفس و الروح.
فقالت زبيبة : هذا شغل الفتيان و الشيوخ والفتيات، فكيف لفتاة في عمر الصبابة أن تقضي وقتها غير ذلك، و لكن كيف تقضين لياليك.
فبهتت ظبية و لكنها تمالكت نفسها، و قالت مبتيهة : تمر على خفيفة ظريفة في كفن والدى، و سيدي الحبيب.
فنظرت زبيبة إلى عيني ظبية الساحرتنان، و فهمت أن ظبية لن تفصح عن مكنونات قلبها، فقالت بصبر : لم يحن الوقت بعد

لـنرى سـعة قلبـك يـا ظبيـة، و لكنـي رأيـت و سـمعت مـا يكفـي.
فقالـت ظبيـة بشـجاعة، و قـد أحسـت أن الأمـيرة تعاتبهـا عـلى كتمهـا لـسر قلبهـا : إن ثغـري يبتسـم لرضـا مـولاتي و سـيدتي، و قلبـى إن كان صبيـاً و فتنـاً فلـم يخفـق لـه خافـق أو يتحـرك لغـير موضعـه، و ليـس لى ذنـب في ذلـك يـا مـولاتي، و ليشـهد عـلى الشـمس و القمـر، و دبيـب النمـل و سـكون الليـل، أني لم أخـن الأمـير اليمنـي بعقـلي أو روحـي أو قلبـي، و لكـن القـدر كتـب كتابـه، و مـا مـن مفـر، و لا يرغـم القلـب عـلى الحـب يـا مـولاتي، بـل يمنـح منحـاً.
فسـكتت زبيبـة متظاهـرة بمزيـد مـن الضيـق، و عـدم التصديـق، ببنما تبسـمت كوكـب و قـد فهمـت غـرض زبيبـة مـن ذلك.

{٨}

تهامس القوم، فاليوم تأخر الملك عن مجلس البلاط للنظر في أمور البلاد، سبب ذلك ذهاب الملك صباحا زئراً زوجته الملكة في جناحها، فوجدها بين وصيفاتها فوقفت لتنحني للملك، و تقبل يده الممدودة ثم قالت : مولاى الملك، أسعدني مجيئك لزيارتي في إشراقة الصباح، ماذا بدر مني حتي غمرتني بجزيل عطفك و رأفتك.

فضحك الملك من زوجته سمية، و قبلها بين عينيها و قال: الا يصح للملك أن يمنح زوجته حبه و عطفه.

فتبسمت سمية و جلست مع الملك على سرير من الديباج، و ابتدرت حديثها قائلة : لست أطمع في أكثر من رضاك يا مولاى، عني و عن أميري المنذر.

فقال الملك ضاحكا : و قد كان ذلك يا سمية، المنذر أشجع أنجالى و أبنائي، و هو قوتي و ساعدى ألذى أعتمد عليه، و قد ربيته أحسن تربية يا ملكتي الحبيبة.

- فليدوم الرضا على أبنائك جميعا يا مولاى.

فتهجم الملك، و قد تذكر اليفع ولى عهد، و قد وصله أنه قد عاد للشرب عندما غارد البحرين، و لكنه تجاوز عن ذلك لما وصله

ما فعله في استيعاب الحركة المعارضة، و انهائه الجدال. قال : أما أميرنا قيس فله عقل راجح و عين ثاقبة.
فقالت الملكة بمكر : نعم، سيكون عونا لك يا مولاى، على أن يستعمل دهائه و بصرته في حفظ العرش.
كان الملك يعلم كره الملكة للأمير قيس و لأمه الجارية شهرزاد، و لكنه تجاوز عن كلامها بلا مبالاة و تابع : أما ولى عهدنا نغمره بالرحمة و الشفقة على أخطائه و زلاته، فلا نظلمه و لكن ننظر مايكون منه في القريب.
فقالت الملكة و لازالت مبتسمة ببرائة : و يظل على علمه برحمة الملك فيكمل طريق الظلالة، و ربما لم يكن ملوماً فقد خسر والدته منذ صغره، و كان مولاى في حربه مع قبائل اليمن و البحرين، مشغولا حتي أصبح ما أصبح، فعليك بالصبر يا مولاى.
نظر الملك نظرة ذات مغزى لزوجته، التي تلهب صدره على ولى عهده، و لكنه أكمل حديثه فقال : و نخرج بعد مدة للقصر الشتوي، تسبقنا إليه شهرزاد أما زوجتنا الملكة فتخرج معنا.
تلون وجه الملكة غيظا، و لكنها كتمت ذلك، سمع الملك طرقا على الباب و دخل الحارس يعلن : مولاى الملك، مولاتي شهرزاد متعبة يا مولاى، الأمير قيس عندها الأن.
أسود وجه الملك و نهض فور و قال : الأن ننظر في الأمر.

فتحت الأبواب للملك، فمشى تنحني له الرؤوس يلعب الهواء ببردتيه، و قد خفق قلبه خوفا على شهرزاد حتي كاد يخرج من ضلوعه. و ترك زوجته الملكة يعلو وجهها الغيض و الحقد، تتمتم : شهرزاد...!

و كانت ماريا قد رأت و سمعت كل شيئ، و أخذت تفكر فيما تفعله لسيدتها الملكة.

نظر الملك إلى الفراش، فوجد الأمير قيس كئيبا و قد علا وجهه الحزن ممسكا بيد والدته شهرزاد، التي تبدوا شاحبة الوجه، نائمة بالكاد تفتح عينيها، رأها تتمتم شيئا ما، فدخل بسرعة، وفق قيس و انحني للملك : مولاى.

فتجاوزه الملك ليرى شهرزاد، فزعت شهرزاد لقدوم الملك، و حاولت أن ترفع نفسها فأمسك الملك بيدها بقوة فوجدها حارة تلهب يده، فنظر إلى عينيها الواهنتان و قال بأسى : كيف حدث ذلك، و ماذا جرى هل عاودها المرض.

نظر إلى الطبيب في الجانب الأخر من الفراش بشدة، و قال : لماذا لم يصلني الخبر بذلك؟ اتجرأ على إخفاء هذا عن عيني أيها

الطبيـب؟
ارتعش الطبيب خوفا، و قال : مولاى، أسألك العفو، لكن مولاتي..
فـصرخ الملـك : حيـاة مولاتـك، حيـاة شـهرزاد ملـكي، و لـن تجد راسـك واقفـا فـوق رقبتـك حـال عصيانك.
فتمتـم الطبيـب و قـد عـلا الخـوف، وجهـه : نعـم، نعـم يـا مـولاى، لـن يتكـرر.
ثـم نظـر إلى شـهرزاد بخـوف و عتـاب، قائـلا : شـهرزاد ليـس لـك أن تخفـي ذلـك عنـا.
فقالت شهرزاد بضعف : أ تبخل على بحياتي يا مولاى.
فقـل الملـك بحـدة و لـين : بـل أعطيـكي كل مـا تشـائين إلا حياتـك، فهـي ملـكي وحـدى يـا شـهرزاد.
فتبسـمت شـهرزاد بحـب و أمسـكت بيـد الملـك، الـذي ذاب قلبـه خوفـا عليهـا فقبـل يدهـا, ، لم يكـن لينحـي برأسـه إلا ليقبـل شـهرزاد، ألتـي لم يسـتطع منحهـا لقـب الملكـة حتـي. فهـي فرحـه و سـعادته التـي لا يراهـا حتـي ينـسي البـلاط و مـا فيـه مـن عظمـة، فهـو ملـك القـوي إلا مـع شـهرزاد يصبـح العاشـق الصـب.
رأى قيـس حـب و عطـف الملـك و خوفـه عـلى أمـه، فـكان هـذا هـو الجـواب عـلى بقـاء شـهرزاد في القـصر، رغـم أن الملـك تجـوز بالملكـة سـمية، و لكـن شـهرزاد هـي راحتـه الوحيـدة في القـصر.

و فمنذ سنة كانت شهرزاد تمرض و تشفي، ثم يعاودها المرض فيقلق الملك عليها، بعد أن أعلن الحكماء أن سبب مرضها غير معروف، فأخذت دواء يسكن الامها حتي عادت عافيتها.
ظل الملك عند شهرزاد، و بعث قيس ليفتح البلاط في غيابه الملك، ففعل قيس و كان أجدر الأمراء بذلك، و جلس منذر عن يمينه ينظر معه في أمور البلاد، و كان ولى العهد حاضرا أيضا، و قد بدت نظرات الإستغراب حول البلاط، لأن قيس جلس على عرش والده يحكم و ينهي، و يدخل و يخرج الرجال و الوجهاء للبلاط، و قد علت وجه اليفع نظرة الحقد، و إلتهب صدره بالكره لأخويه، رغم أنهما يكنان له الحب و الإحترام.

بعثت الملكة باريا لتعلم أخبار الملك عند شهرزاد، فعادت بعد أن انتصف الليل محمرة الوجه و غير قادرة على التفوه بكلمة، نظرت الملكة إليها و قد أكلتها الغيرة، و سألت : ماذا وجدتي عند جارية الملك يا باريا، و كيف كان الملك عندها ؟
تنحنحت باريا و أخذت تحاول الكلام، و لكن الملكة ضاقت درعا بها و قالت مهددة : أيها الحارس.

فدخل الحارس منحي الرأس : مولاتي الملكة.
فقالت دون النظر إليه : أحضر بعض الزيت الساخن في الحال؟
فصرخت ماريا خوفا، و قالت : بل أتكلم يا مولاتي.
فقالت الملكة : و تحلين عقدة لسانك.
- نعم، لقد حلت يا مولاتي، كنت عند غرفة الملك أسمع و أرى الملك يغرق مولاتي شهرزاد بالعطف و الحب، حتي ظننت أنه إن خُيرَ أن يأخذ ألامها لما تردد لحظة.
فقالت الملكة و قد أمسكت دمعة كي لا تفضح نفسها : متي خرج الملك من عندها؟
تملمت ماريا و تغير لونها، فقالت الملكة : أحضر الزيت.
فسقطت ماريا مرعوبة، بينما خرج الحارس مسرعا :
- مولاتي، أرحميني، لم يخرج يا مولاتي، بل ظل عند مولاتي شهرزاد، لقد أمر بإغلاق الغرفة يا مولاتي.
بهتت الملكة، و تمتمت : أكملي، لا تخفي شيئا، و إلا شوهت وجهك بالزيت الساخن، فلا يعرف الناظر إليك هل رومية أنت أم شيطان من شياطين الجحيم.
ارتعشت ماريا، و قالت : ظل مولاى فوق رأسها يمسح عنها، و يسقيها ببديه الماء بالعسل ثم يتغني بجمالها حتي تنام مولاتي شهرزاد على كتف الملك، بل إن كتف الملك قد تصلب يا مولاتي،

فلم يرض إلا أن تنام بين يديه. و الطبيب يفحصها كل ساعة، و حالما حل المساء أحضر الطعام فلم يذق الملك منه شيئا، بل ظل يداعبها ويرفه عنها و كأنما هي الملكة و هو الخادم الأمين. أكلت مولاتي شهرزاد قليلا ثم طلب منها الطبيب أن تقف و تتمشي قليلا، فأخرجها الملك إلى الشرفة، و قد كان يسندها بجسمه، بل أقول أنه كان أقرب لأن يحمالها خوفا أن تسقط يا مولاتي.

ارتجفت الملكة و لم تقل شيئا.

- و عند الغروب أصبحت أفضل حالا، فطلب بعض المسك و ماء الورد و مسح به وجهها المتعب و يديها، و قد كانت نظراته تقطر حبا و هياما يا مولاتي، حتي ظننت أني أرى أمام عيني كل الحب في قلب مولاى الملك، يخص به مولاتي شهرزاد وحدها. و حلما بدت تبتسم و تتكلم، أخذ الملك يذكرها بأيام الصبا قبل أن يتزوج بك يا مولاتي الملكة، ثم لا أدرى ماذا قالت شهرزاد للملك فضحك يا مولاتي و قال : أنت ملكتي يا شهرزاد، و يكفيني نظرة منك لأخلع العرش و أنطرح على قدميك.

- ثم طلب إغلاق الغرفة و عاد الخدم كل لعمله و جئت إليك يا سيدتي.

كان بين يدى الملكة إناء فيه بعض المسك تبعث به فنهضت بسرعة، و سقط الإناء مصدرا صوتا مزعجا، و قالت بصوت

مرتجـف : فليخـرج الجميـع بسرعـة يـا ماريـا.
و حالمـا سـمعت الملكـة صـوت بـاب جناحهـا يغلـق، انطرحـت عـلى سريـر، و بـين الحريـر و الدبيـاج تبـكي حظهـا. و قـد كان ماريا تسـتمع إلى نحيـب مولاتهـا، فهاجـت في قلبهـا ألـوان الحقـد، و أخـذت تدبـر التدابـير.

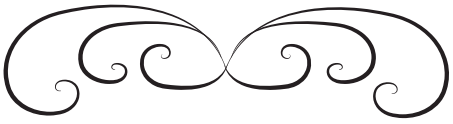

لم تقابـل ظبيـة مولانـا الملـك، بسـبب مـرض شـهرزاد لـيرى إن كانـت تسـتحق أن تكـون زوجـة لـولى العهـد.
دخـل المنـذر عـلى جنـاح الملكـة والدتـه ليسـلم عليهـا، فقـد تجهـز خارجـا للصيـد مـع قيـس، الـذي أصر الملـك أن يخـرج بعـد تحسـن صحـة شـهرزاد، فخـرج قيـس ينتظـر المنـذر ليسـلم عـلى الملكـة.
- مولاتي الملكة.
نظـر المنـذر إلى والدتـه فوجدهـا شـاحبة الوجـه محمـرة العينـان، فخـاف عليهـا و قـال : مـا بلـك قـد انطفـئ لونـك يـا والـدتي.
وضغـت الملكـة يديهـا عـلى وجـه المنـذر، و قالـت : كـن أمـيرا يفخـر بـه مـولاى الملـك يـا بنـي، و لا تشـغل تفكـيرك بغـير ذلـك.
فقبـل المنـذر يدهـا، و قـال : و كيـف لا أخـاف عليـك و أنـت والـدتي

و بهجتي في حياتي، فلن أخرج اليوم.
فقالت بحزم : لا يا بني، لا تشغل تفكير مولاى الملك، عليك أن تقوم بجولة حول القصر كما خططتم. أتريد أن يبعث الملك الحراس ليئمنوا مملكته و أنجاله موجودين.
فسكت منذر و ضغط على يدى أمه، و قد إعتراه القلق عليها، و لكنه تجلد و نهض واقفا فقبلته على خده، و قالت : كن أمينا و صادقا يا بني، تفز برضا مولاى الملك.
فإبتسم المنذر و قال : سأفعل ما وسعني ذلك يا مولاتي.
ثم خرج من جناح والدته و مشي ليمر من الرواق الكبير، الذي حالما يخرج منه يقابل جناح عمته الأميرة زبيبة، فمشي ليخرج متجاوزا الرواق لخارج القصر، و ورائه الحراس و الغلمان الذين يحملون عدة الخروج. فلمح المنذر خيالا ظن لأول وهلة أنه لكوكب، و لكنه تحير في أمره و قال للحراس : أنتظروني هنا، فلا تحركوا ساكنا حتي أعود بنفسي.
و أمر الغلمان بالخروج لتهيز فرس الأمير، و مشي المنذر لجناح عمته زبيبة و رأى على بعد خطوات من غرفة عمته جمالا لم يرى مثيلا له، ثم فتح باب الغرفة فرأها تبتسم و تمسك بطرفي ثوبها الجرار و تدخل وعلي وجهها حمرة طفيفة.
وقف المنذر في مكانه مذهولا، و تحير في أمره؛ و لكنه قرر أن

يعـود لأخيـه قيـس الـذي ينتظـره، خـرج المنـذر حتـي وصـل لأخيـه و ركـب الفـرس و قـد أحـس أن يـدا مـن حديـد تضغـط عـلى صـدره، بـل شـعر أن قلبـه ينصهـر و قـد تجهـم، و هـو لا يفهـم مـا هـذا الشـعور الـذي يعتريـه و هـو أمـير الحـرب و السياسـة، أخـير قـد طرق الحـب بابـه. و لكـن أميرنـا المنـذر لم يرحـب بهـذا الضيـف و لم يفهـم ماغرضـه، فقـد ظلـت ذكـرى تلـك الإبتسـامة عالقـة في عقلـه و بـين عينـه ، حتـي أن قيـس اسـتغرب سرحـان أخيـه و سـأله أكـثر مـن مـرة عـن حالـه، و لكـن المنـذر لم يـدري بمـا بجيـب.

- يخيل إلى أن أخونا المنذر يخفي سرا ما عن أخيه قيس.

لم يـرد المنـذر و قـد غـرق عقلـه في تلـك العينـان السـاحرتان ،و تلـك الإبتسـامة و الحمـرة عـلى خـدي الفتـاة و تمتـم : لابـد أن ينتهـي هـذا الأمـر، و أطفـئ هـذه النـار.

فتحـير قيـس في أمـر المنـذر و قـد كان في الصبـاح كعادتـه عندما يخرج للصيـد، و لكنـه مـا إن عـاد مـن جنـاح الملكـة تغـير لونـه و ضاقـت عينـاه، فتنهـد المنـذر و تعجـب قيـس منـه و سـأل : أسـألك بتربـة جدنـا أن تفصـح عـن ماحصـل، و تعلمنـي بمـا جـرى معـك.

فنظـر المنـذر إلى أخيـه، كأنمـا يـراه للمـرة الأولى و قـال : أتـري أن الإنسـان في لحظـة يتغـير لديـه منظـورة الأقـدار الحيـاة و المـوت.

فقال قيس : أرى أن أخآنا المنذر قد جن و لا شك.

فأكمل المنذر : فيخيل إليه الهواء تغير طعمه، و السماء تسقط كسفا فوق رأسه، فلا يدرى بما يعاني أولا أو ثانيا.

تبسم قيس و قد خيل له أن أخاه يهذى، و قال : نرى أن كلام الفلاسفة أبعد ما يكون عن خيالك الخصب، فهنيئا لي بك يا أخي.

و ضحك على المنذر، أما المنذر فقطبي جبينه و أحس كأن شيئا يحرق صدره بشدة فلمس موضع قلبه و كشر، فقلق قيس و اقترب بفرسه من المنذر و سأل : هل تشكوا ألما يا منذر ؟

فقال المنذر : بل أشكوا ضيقا لا أفهم له سببا.

فقال قيس : و هل لقاءك بالملكة أصابك بالهم، أم أن أمرا عرض لك لا تبغي الإفشاء به.

فقال المنذر متحسرا : لو كان في مقدور الجن أن يصف ما أعانيه لأمسكته و أنطقته.

فتحير قيس من أمر أخيه، و سأله مستوضحا : صفه لي يا منذر، لعي أهتدى لشواغل صدرك.

- نارا يا أخي، تحرق فيخيل لى أن الأرض ستنفجر بركان في أية لحظة.

- متي شعرت بهذا الأمر .

- منذ خروجي من غرفة الملكة.

- و من قابلت في الطريق بعد ذلك.
- قابلت.. أخبرني يا قيس، هل لدى عمتي الأميرة زبيبة ضيف لا علم لي به.
فقال قيس: عدآ ظبية بنت بن بارف، لا أظن عمتنا قد دعت للقصر أحدا، إلا إن كنت تقصد كوكب.
فنظر المنذر إلى عنق الفرس و تمتم : ظبية.
ثم ابتسم دون أن يدرك ذلك حتي، فعجب قيس من أخيه و إزداد خوفه عليه، فقال : أسئلك أن تفك هذا الغموض يا منذر فقد...
ثم سكت قيس عن الكلام، و قد خيل إليه ان رسول الغرام قد دخل لقلب أخيه، و قال بخبث : هل هذه أول مرة يأتك هذا الإحساس الغريب؟
فقال المنذر، و مازال يبتسم : نعم يا أخي، و قد ملك كل جوارحي، بل أشعر أن الساعات أصبحت أعواما طوال منذ خروجنا من القصر.
فضحك قيس عاليا، و قال : لقد أوقعك جمال بنت بارف و قد كنت يأست منك، يا للقدر. إذا يا منذر، ماذا ستفعل بشأن حبك الجديد لبنت بارف؟ و هي مخطوبة لأخيك اليفع.
فقال المنذر و قد شحب وجهه : إن كان ما روادني حبا، فليس لي

سبيل للخلاص منه، و إن كان حمى عارضة، و تزول فلست فاعلا إلا الصبر عليها حتي تزول.

فقال قيس مبتسما : كيف ترى والدنا لا يترك غرفة والدتي شهرزاد منذ أن سمع عن مرضها، بل لقد تخلف عن البلاط .

فقال المنذر و هو يترجل عن الفرس : هل تقول يا قيس أني مغرم ؟

فأحس قيس أن المنذر يرفض الاعتراف بمشاعره، و يحاول التصدى لعواطفه : إن الغرام و العشق إن كتم عليه في الصدور، ظهر في العيون يا أخي، فدبر أمرك. و لكم أخافني عدم تقبلك لمشاعر كوكب، و لقد حكم عليك بالعذاب يا أخي.

فقال المنذر، و قد شعر بالحمل الثقيل على كتفه بدأ يزداد ثقلا، و قلبه يخفق حتي يكاد ينفجر من صدره : إن كان لابد من هذه العواطف أن تظهر، و تسبب غضب الملك، فسوف أقتلها أو سأرمي بجسدى و سط النيران، فهذا الصدر يكاد ينفتح عن باب حمم و جهيم هائل لا قرار له.

فسكت قيس و قد أشفق على المنذر، و هو في حبه النقي الوليد حديثا، حائر لا يدرى أيقوم أم يقعد، يغذي حبه، أم يسقيه مر السموم. فقال يريح أخاه : لا أظن مولاى يرغب في سماع هذا الخبر منك، و لكن السبيل الوحيد للنجاة، أن تخبره يا منذر لعل

الحل عند مولاى الملك.

فعبس المنذر و قال : أ أهين مقامي و أخسر ثقة مولاى لأجل قضية خاسرة ؟ لا و الله لا أفعل، بل إن اضطررت أن أشق صدرى و أستخرج قلبي فأرسله إلى ظبية و أقول لها، هذا قلبي فأفعلي ما شئت به، أما عقلي و جسدى فهما مرهونان لمولاى الملك، لفعلت.

فقال قيس و قد ترجل عن فرسه، بعد أن قطعا مسافة بعيدة عن القصر : لا تحاول التصدي و الرفض، و أجب داعي الحب يا منذر، فلربما يخلق القدر لهذا الغرام حياة جديدة.

فقال المنذر و قد شعر أن فهمه لمشاعره، و كلامه مع أخيه أراحه قليلا : ويل لي، بل ويل لقلبي إن لم تكن ظبية توافقني، و تحس بهذه الحمى مثلي. فعندها يا أخي لأقتلن قلبي، و لأمزقه تمزيقا فلا يعود لهذا الخفق و الهذيان.

خرجت ظبية من جناح الأميرة، لتتجهز و تخرج للصيد معها. فبعدما أن سمعة زبيبة أن قيس و المنذر قد خرجآ، تحمست للخروج و قالت : الأن نرى فراسة بنت وائل بن بارف.

فضحكت ظبية و وافقت فورا على الخروج معها، و لم تمضي ساعة على خروج المنذر و قيس للغابة، حتي خرجت زبيبة و ظبية مع بعض الجوارى و العبيد. أما بقية الحراس و العبيد، فقد تأخروا لأن زبيبة لم تستطع الإنتظار. فسارت قبل الجميع مع ظبية تتسابقان فوق الفراس، و قد أخذت الرياح تصفق وجهيهما، و صوت ضحكاتهما ملئت الغابة، حتي وصلتا لبقعة مرتفعة عن الأرض، فنزلت زبيبة من فرسها و فعلت مثلها ظبية. و قد كانت كل منهما ترتدى ملابس أخف، من لابسهما الثقيل في القصر، و تضعان شالا على رأسيهما. و قد أمسكت كل منها على فرسها، و القوس و السهام مع خنجر و السيف.

تنفست زبيبة الصعداء، بينما ذهلت ظبية بمنظر الغابة، تخفي بين أشجارها و أغصانها المتعانقة الوحوش، و تحت قدميها تمتد الأرض في إرتفاعات و إنخفاضات، متناسقة بين الألوان الطبيعية.

و ظلت كلتاهما لفترة صامتتين، ثم عادتا للوراء قليلا فرأتآ الخيمة و العبيد و الجوارى، قد جهزوا كل شيئ، فذهبتا للصيد معا، و ذهب ورائهما عبدان و جارية على الأحصنة.

{٩}

حل الليل على المنذر و قيس في البر، و قد استكشفا الجانب الغربي من القصر فكانوا يصيدون، و في ذات الوقت يحرسون المملكة و القصر، و يكتشفمن من يمر بمحاذاتهم و ما أغراضهم، تحسباً لهجوم القبائل أو مرور الجواسيس و الأعداء. و بينما هم يعدون خيمة في البر، رأى المنذر ضوءاً من البعيد، فنادى أخاه قيس، فأقبل قيس و تشاورآ. فقال قيس : أرى أن هذه الأضواء ليست لعدد هين، فلنحترس و نرى ما شأنهم في هذا الليل.

فنادى المنذر على عشرة فرسان ليحضروا معه، و معهم قيس على «فرسهِ الأدهم»، و مشوا نحو النار، فلما أقتربوا من النار، وجدوا عندها رجالاً و خياماً و عدت للحرب، فهمس المنذر : لباسهم يقارب لباس أهل اليمن، و جنوب الجزيرة.

فقال قيس : فلننظر ما أمرهم، و لا تُعرف عن نفسك يا منذر.

همز المنذر فرسه، و ذهب حتي ظهر أمام أهل الخيام، فوضعوا أيديهم على السيف فقال قيس :

يا أيها القوم، أنتسبوا، ممن أنتم من العرب.

فقال أحدهم قد خرج من خيمة صغيرة : نحن أهل اليمن، و جأنا مع أميرنا معن بن قيس اليمني، و من أنتم.

فقال قيس : نحن حراس الملك الضبعي و ملك هذه الأرض، فما غرضكم؟

نظر المنذر إلى هذا المتكلم، فوجد أنه أحسنهم لباسا، و عرف أنه أمير اليمن خطيب ظبية، و رأه جميل الوجه طويل الجدائل، تقرأ على صفحة جبينه العلوا و النسب، فقال معن : غرضنا أن نرى الملك الضبعي. فقد سلبي خطيبتي ظبية بنت وائل بن بارف ليخطبها لولده أحد الأمراء.

فتبسم المنذر من جرأة معن، و لم يقل شيئا فقال قيس : هل أنت مجنون؟ أم أنك جئت لترد حقا ليس لك.

فصرخ معن، و قال : بل هي حقي وحدي، و ليس لأمير مدلل أن يبخيني حقي.

فسكت قيس، ثم قال بهدوء : إذاً تبارز واحدا منا نحن حراس الملك.

فقال معن مستلا سيفه : أفعل و الله، فهيا ليأتني من يشاء لقاء ربه.

فضحك المنذر و تقدم قائلا : أنا أبارزك.

فقال معن : رضيت، فإن قتلته تنحيتم عن طريقي.

فقال قيس بثبات : نفعل و إن هزمك هذا الفارس فعليك أن تعدو لديارك، أما من جاء معك فينزل عند الملك و يصبحوا

تحت حكمه و إرادته.

فسكت معن، و لكن أحد الفرسان قال : أرضى بذلك أيها الفارس.

فوافقهُ الباقُون. فهمس قيس للمنذر الذي كان صدره يغلي كالمرجل، لأن معن قد أهان أخاه و الملك :

- احذر غدرهم.

فقال المنذر : سأذكر هذه الليلة للملك يا قيس، و سوف ترى ذلك.

فسكت قيس، و واقف بفرسه مع الفرسان العشرة بعيدا عن المنذر الذى نزل عن فرسه، و استل السيف و تقدم من معن، فقام معن بالإقتراب من المنذر. و قد قام رجال عشيرة اليمن بالوقوف صامتين ليشاهدوا هذا النزال، الذي سيحدد مصير عشيرة بني قيس اليمني، و سُمع صوت الريح تجر معها حبات الرمال. تصادم السيفان لثواني، فإهتز سيف اليمني و قد شعر بقوة ضربات خصمه، و لكن اليمني لم يتراجع بل تقدم من المنذر، و أخذ يضرب في اليمين و الشمال و لكنه لم يصب حتي جرحاً صغيراً من خصمه. فنفث نارا و بدآ بعض الضيق يظهر على وجوه رجال اليمن. بينما ابتسم فرسان الأمير، و قال أحدهم للأخر : لم يرى اليمني شيئا من أميرنا بعد.

فضحك الأخر و قال : ألا ترى المنذر يبتسم و هو يقاتل.

و كان المنـذر كذلـك، و لكنـه كان مركـزا تمامـا في قتالـه، يصـد ضربـات الأمـير اليمنـي، و قـد جـرح معـن جرحـين في ذراعـه و صـدره جـرح عميقـا قليـلا و لكنـه تمالـك نفسـه، و صرخ بغيض ليـضرب رأس المنذر، لكـن المنـذر أمسـك بيـد معـن، و لـوى ذراعـه حتـي سـقط السـيف مـن يـده، و سـكن معـن مزمجـرا بغيـظ و قـال المنـذر : كيـف تـرى قتـال حـراس الملـك يـا أمـير اليمـن؟

فتقـدم أحـد رجـال اليمـن، و قـد كان أكبرهـم سـنا و قـال : نـرى أنكـم أهـل قـوة وبسـالة ولكـم الطاعـة و قـد حسـم الأمر.

فنهـض معـن بعـد أن تركـه المنـذر ليلتقـط سـيفه، و عـاد يريـد ضرب المنـذر، فأمسـك الرجـل الكبـير بذراعـه قائـلا بحنـق : لقـد تبعنـاك لهنـا، وقـد خـسرت النـزال.

ثم نظر إلى المنذر و قال : أسألك أن تمنحه حياته.

فقـال المنـذر : منحتـه حياتـه، و أحفـظ حيـاة كل مـن يرافقنـا حتـي القـصر، لتمثلـوا أمـام مـولاى الملـك.

فقـال معـن، و هـو يعـض أناملـه : أمـا أنـك تعطينـي حيـاتي فهـذا رد لإغتصـاب مللكـم لحقـي، و أمـا أن أمـضي لأرى ملككـم، فهـذا مـما لا أرضـاه لكرامتـي ولا اقبلـه.

فتشـنج فـك قيـس، بينـما قـال المنـذر بهـدوء، و قـد أزعجـه تعجـرف هـذا الأمـير : أمـا النـزال فقـد خـسرت فيـه، و أمـا مـولاى الملـك، فهـو

أرفع مكانا من أن يخص أمثالك برحمته.
فغضب معن لنفسه فتقدم يريد ضرب المنذر، لكن المنذر ضربه على صدره و جَرحهُ، فتأوه معن متألماً، و قال المنذر : في المرة القادمة التي تتحدث فيها عن مولاى بسوء فلن أرحمك، فأحقن دمك و دماء عشيرتك و غادر، فلا نريد مثلك ضيفا علينا.
فرماه معن بنظرة قاسية، و ركب فرسه و همزه منطلقا ناثرا غباب الرمال ورائه، فلما رأى المنذر غبار فرس الجبان يبتعد، توجه إلى الرجل الكبير فيهم و قال : مرحبا بالأضياف، مرحبا بالأضياف.
فاستبشر الرجل بذلك، و قد علا خلق و فصاحة هذا الفارس في نفسه، و قال له المنذر : مرحبا بكم تحت حماية مولاى الملك.
فظهر البِشرُ في وجوه الجميع، و دعوهم ليجلسوا في الخيام، و قال الرجل : لعلي أُكلم أشجع فرسان الملك الضبعي.
فتبسم المنذر، و قال : بل تكلم أحد أمراءه.
فبهت الرجل، و قال : أمير يخرج في هذا الوقت ليحمي حدود مملكته، هذا و الله أخلص الأمراء، وابن أحسن الملوك.
ثم قال لبقية الرجال : رحبوا بالأمير.
فتقدموا سعداء مستبشرين، و قال له المنذر بعد أن سلموا عليه : و هذا أخي الأمير قيس.
فذهب الرجل ليقبل يد قيس، ثم جلسا الأميران مع فرسانهم

في الخيام، و بعد مدة خرج قيس و المنذر من الخيام ليعود لمكانهم، و قالا للرجل : سأبقي أحد فرساني معكم، يدلكم على طريق القصر، فتنزلوا علينا و مرحبا بكم.

فتقدم أحد الفرسان و بقي مع عشيرة بني قيس اليمني، و عاد قيس و المنذر لمربط خيامهم، و قد قرروا أن يعودا للقصر فورا فيخبروا الملك بالذي حدث، و ينتظروا حضور العشيرة اليمنية. و قد أخذ المنذر يفكر في ظبية، و قد أحس بالإطمئنان لأنها مع زبيبة في قصر الملك، و لن تطالها يد الأمير اليمني.

{١٠}

حالما عاد المنذر و قيس للقصر ذهبا لرؤية الملك في غرفته، فطلبا الإذن بالدخول فأذن لهما.

بعد السلام على الملك، جلسا بالقرب منه على سرير مريح عند الشرفة.

- كيف عدتما سريعا، و قد كان عليكما أن تجوبا البر لعدة أيام.

فقال قيس : لقد صادف و لقينا في طريقنا خبرا سيفرح مولاى الملك.

فتعجب الملك، و قال : إن كان فيه فرح لنا فهو ظاهر في عينيكما يا ولدى، فما الأمر.

فقال قيس : أعلم أن مولاى الملك، يقضي نهاره و ليله مفكرا في نجد و ما حولها، فهي قوة للملك إن حصل عليها.

فقال الملك، و قد ضاقت عيناه : بل هي أكثر من قوة ..يا قيس، لو أردت الجلوس على عرش كسرى، و أن تلبس تاج القيصر في آن واحد، فما عليك إلا تجنيد قبائل نجد و ما حولها.

فقال المنذر : إنهم مكسب يا مولاى، و لكنهم قد يعضون يدك الممدودة لهم بالرحمة، في سبيل المال.

فقال الملك : نعم، و لهذا لا يطلب أحدهم جوارنا إلا لينتفع

بمالنا، و نحن نطلب مقابل أموالنا دمائهم و أرواحهم يبذلونها في سبيلنا، و لولا الخوف من غدرهم، نعم لولا الخوف من غدرهم، و جشعهم لحاربنا بهم النسر الخفاق في السماء، و النمر الفارسى الوثاب.

فقال قيس : و هذا ما يطيب للملك أن يسمعه.

فقال الملك : لقد ابتعدت عن المقصد، فماذا رأيتما خارج القصر؟

فقال قيس : ليقنا عشيرة من أقوى العشائر في اليمن، قد جائت مع أميرها ترفع سيف الطاعة، و تحني الرؤوس لمولاى الملك.

فتعجب الملك و قال : مالك يا بني قد زارك الخرف سريعا، أيئتينا أهل اليمن طائعين و هم في غنا عن و عن حمايتنا.

فتبسم المنذر و قال : بل يكونون الأن عند باب مولاى الملك، يطلبون عطفه و رحمته.

فقال الملك : إن كان كذلك يا أميرنا المنذر، فلك أن تطلب ماتشاء و لا نرد لك طلبا.

فخفق قلب المنذر، و خطر له خاطر، و لكن ما عساه يفعل و هو مخطوب لكوكب، فقال : أطلب من مولاى الرضا عني.

فضحك الملك و قال : نرى ما يكون حالما نسأل عن أمر أهل اليمن.

فنادى الملك على حاجبه*، فحضر الحاجب و قال له الملك : إذهب يا حاجبنا، و أنظر هل عند بابنا بعض من يطلب الإحسان منا ؟ فنحن اليوم راضون، و لا نبخل على أحد.

فضحك قيس، حتي مضت ساعة عاد الحاجب و قال : مولاى الملك، وقوم من جنوب الجزيرة هم عشيرة من بني قيس اليمني، يطلبوان المثول أمام الملك ليبدوا أسباب الطاعة .

فاتسعت حدقتا الملك تعجباً، و قال : أرى أنجال الملك يحيكون الأمور، و يُجدون السحر دون علمنا، أى جن أحضر بني قيس اليمني إلينا ؟

فقال الحاجب : لقد قالوا أنهم رأوا نجلي الملك، الأميران قيس و المنذر في الثلث الأخير من الليل أمس، و هم أضيف عليهم.

فضحك الملك، و قال : إذا نرى أضياف أمرائنا بعد أن نعد لهم عدة الضيافة، إذهب يا حاجبي و أدخلهم إلى جناح الأضياف في قصرنا، فيأكلوا و يشربوا ما بدآ لهم، حتي يدخلوا علينا و قد ملئنا صدروهم بالإحسان و الكرم.

فخرج الحاجب ينفذ أمر الملك، ثم قص المنذر و قيس على الملك، ما طرأ عليهما في الليل من حوادث. فعجب الملك،

*الحاجب هو فارس يقف عند باب الملك، فيسمع كل ما يدور بين الملك و خاصته و أهله، و هو حافظ أسرار الملك، و أمين على الملك في النهار و الليل، وحاصد الرؤوس بأمر مولاه.

و أكبر على الأمير اليمن أن يأتي للملك يطالب بظبية، قائلا : أيأتي أمير اليمن، و يجر عشيرته ورائه، ليأخذ منا ظبية، و هي ضيفتنا و نزيلة علينا، و هو لم يقدر أن يبارز أميرنا المنذر.

فقال قيس : و هل قرر مولاى الملك و فصل في أمر ظبية بنت وائل ؟

فسكت الملك عن سؤال قيس، أما المنذر فترقب جواب الملك بقلب مرتجف، فقال الملك : نفصل حالما يعرض لنا ما ننتظر عروضه.

فقال قيس و هو يبحث عن أمل، ليجدد الحب في قلب المنذر : أيتأخر مولاى الملك في حسم القرار لحكمة، أم ان شيئا قد أخركم عن ذلك؟

فضحك الملك و قال : ما بال أميرنا قيس يلج في السؤال عن بنت وائل؟

فقال قيس : أسألك العفو يا مولاى، فما تبوح به الألسن، هو بعض ما في الصدوره يا مولاى.

فقال الملك : و هل وقع قيس صريح هوى بنت وائل.

فقال قيس ضاحكا : لا يا مولاى، و لكن إن كان قد وقع صريعها أحد غيرى، فهو من خيرة الشباب المخلصين للملك، يفدي الملك بروحه ودمه.

فنظر الملك إلى المنذر قائلا : على القلوب العاشقة، أن تعترف بما تعاني من لواعج الحب.

ثم نظر إلى قيس قائلا : أما من يحاول تمهيد السبل فعليه الحذر.

فتعجب قيس و قال : و لما يا مولاى.

- لأنه قد يقع، إما صريعا دون أن يدري، أو يصبح فيلسوفا يقرب قلوب العاشقين، و لم يذق قلبه للحب نظرة.

فسكت قيس مبتسما، بينما قال المنذر و قد احس أن صدره سينشق، رغما عنه : و ماذا يفعل القلب العليل يا مولاى، في مصابه إن لم يكن هناك من يمهد السبل، غير أن يصبر على بلواه، و يكتم أسرار قلبه.

فقال الملك ناظرا إلى المنذر : عليه إذا أن يخترق قانون القدر، و يصنع السبل بيديه يا منذر.

فقال قيس : أرى يا مولاى أن مجلس الملك أصبح مجلس الهوى، و البحث عن خفايا القلوب، فالأجدر عندها أن ندعوا عمتي زبيبة، فتشاركنا في هذه المجالس.

فضحك الملك قائلا : على الملك دئما أن يجيب على تساؤلات رجاله و رواد دولته، ليعرف ما تخفي الصدور، و بما تلمع العيون، أبالوفاء أم بالحفد و البغظاء ؟

ثم سأل المنذر : و كيف هو حال ظبية بنت وائل و عمتنا زبيبة؟

فقال الملك : هما في البر، تصيدان السباع و حمر الوحش.
فعجب المنذر، و قال : خارج القصر يا مولاى، و أمير اليمن تركناه هناك، أخاف أن يتعرض لهما.
فقال الملك : و هل يجرأ على ذلك ؟
فسكت المنذر، و قال قيس : لا أحد يجرأ يا مولاى، و لكن القلوب الخائنة، التي تشبه قلب ذلك الامير اليمني لا يأتمن جابنها.
فقال الملك : إذا نبعث بالفرسان لأميرتنا، و ضيفتنا للحراسة.
فقال المنذر : أذهب يا مولاى مع الفرسان لأتقصي الخبر.
فضاقت عينا الملك، و قال : نأذن لك في الذهاب، على أن تطير رأس اليمني، إن تعرض لأميرتنا أو ضيفتنا.
فقال المنذر بنشاط : سأفعل يا مولاى.
ثم خرج المنذر، و أخذ معه عشرة فرسان،و راكض فوق فرسه، يبحث عن عمته و عن ظبية، التي أخذت عقله و لبه منذ رأى عينيها الكحلاء الساحرة.
بينما خرج قيس ليرى أمه شهرزاد. و نهض الملك عن سرير و قال :- إن عينا المنذر تفضح ما في قلبه، فهو أسير للهوى.

{١١}

ركض فرس المنذر، و هي تدعي « الجيداء « أحب أفراس المنذر إليه، تنفض غبار الأرض وراءها،و تكاد تطير مع فارسها المنذر. و ركضت وراء الجيداء عشرة فرسان على أفراسِهم، و هم من خيرة الحراس في القصر الأبيض. فمضت الساعات و انتصف النهار، و لم يجد المنذر عمته و لا ظبية، ثم أمهل فرسه لتقف عند إحدى الهضاب، وفعل مثله باقي الفرسان وتحدث احد لفرسان مستفهماً: مولاى، لعل الأميرة قد عادت للقصر.

فرد عليه المنذر : الأميرة تهوى الصيد عند هذه الهضبة، و لا تعود للقصر قبل قضاء أسبوع فيها.

- إذا نبحث هنا يا مولاى.

- نعم و ننقسم، تعال يا زبيد و إثنان منكم معي لجهة الشرق، أما البقية فابحثوا تحت الهضبة.

فقال أحد الفرسان : و نرسل لمولاى الأمير أحدنا إن وجدنا الأميرة، و ضيفة الملك.

- إفعل ذلك.

همز المنذر فرسه الجيداء علامة الإنطلاق، و معه زبيد أقرب حراس القصر للأمير، فهو صديقه لا يخرج للصيد بدون زبيد معه،

فزبيد فارس أمين و صديق وفئ يفدى الأمير، و الملك بروحه و دمه.

ركضوا نصف ساعة، حتي توقف المنذر عند بنع صغير، فشربت الجيداء و بقية الأفراس من الماء و لترتاح قليلا، أما المنذر فأخذ مع زبيد يتمشيان ويستكشفان المنطقة، و قد كانت عامرة بالأشجار و فيها كهوف صغيرة، هي عرين الأسود و الذئاب. تحت سماء صافيه و هدوء لا يعكره إلا صوت صهيل الأفراس.

- أنظر يامولاي، هذه أثار حوافر الخيل.

اقترب المنذر، فرأى الأثار التي وجدها زبيد، فتفرس فيها و قال : فارسان.

فقال زبيد : أتكونان الأميرة و بنت وائل ؟

- لا يا زبيد، هي للأمير اليمني و فرس أخر.

- كيف عرفت يا مولاى.

فتبسم المنذر و قال : أترى أميرة تركض و تصيد، دون أن يلاحقها الغلمان و العبيد.

- صدقت يا مولاى، إذا نتبع هذا الأثر.

فسكت المنذر مفكرا في هذه الأثار و قال : نسير الأن يا زبيد، فإن لقينا اليمني أمسكه و إن فر فلا تتردد في أصابته بسهامك.

فتبسم زبيد، قائلا : أمرك يا مولاى، فليس أحب إلى قلبي من

رمـي السـهام، و طعـن الرمـاح.
فقال المنذر : أما أنا، فلا أرتاح حتي أجد ظالتي.
ثـم اتجـه عائـدا إلى الجيـداء، و ركبهـا و فعـل مثلـه الفرسـان، و سـارو في اتجـاه الأثـار و كانـت تقودهـم لأسـفل الهضبـة.

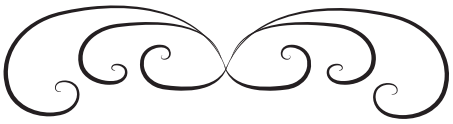

أمـا معـن، فلـما هـرب مـن وجـه المنـذر، غـلى صـدره كرهـا و حقـدا و مـشي يريـد العـودة إلى ديـاره، حانقـا مغلـولا. و قـد توعـد أن يعـود فيقطـع عنـق ذلـك الفـارس الـذي أهانـه أمـام عشرتـه و رجالـه.
حتـي حـل الصبـاح، فالظهـر فـرأى أنـه أضـاع الطريـق، فدخـل بـين الأشـجار و غـاص في الغابـة، فمـشي الهوينـة و قـد كانـت جراحـه طفيفـة فلـم يحتـج إلا سـاعات لتلتئـم، و نـزل عنـد نبـع صغـيرة فـرأى خيـالا يركـض بالفـرس في اتجاهـه، و سـمع الأصـوات تعلـو : مـولاتي الأمـيرة، لقـد أضعـت الذئـب.
فتمتـم معـن مبتسـما : أمـيرة، هـذه معجـزة أن تـأتي إلى الأمـيرة الضبعيـة بقدميهـا.
فمـشي عـلى فرسـه مختبئـا، فـرأى الأمـيرة تركـض عنـد النبـع، و تمـشي متجـاوزة معـن دون أن تلاحظـه. و ورائهـا عبـد و جارية عـلى الأفراس،

فأخرج القوس و السهم و ضرب به العبد، فسقط على الأرض يضخ بالدماء. أما الجارية ففزعت و نظرت إلى العبد فرأته ميتا فإنتابها الخوف، و قد أضاعت الطريق الذي سلكته الأميرة، فأخذت تتلفت حول فرسها ثم مشت للوراء. أما معن فابتسم بخبث و ركض فرسه نحو طريق النبع حتي وصل للأميرة، فوجدها عند منحدر صغير تصوب السهم على ذئب، كان يأكل حمار الوحش ميت. و قد كانت الأميرة تقترب بهدوء شديد فوق فرسها و ما إن أطلقت على الذئب، حتي نزلت على فرسها ثلاثة سهام. ففزع الفرس و سقط مع راكبته الأميرة. تألمت الأميرة لأن الفرس سقط على رجلها، و لم تستطع أن تبعد الفرس لتستطيع الهرب. و كان الذئب قد سقط أرضا بسهم الأميرة. فجاء معن على فرسه بهدوء نحو الأميرة، فنظرت إليه بفزع و لكنها تمالك نفسها، و رأته يضحك بصوت عال، و قال : أميرة بني جندل تجيد صيد الذئاب، لقد نفذت سهام عينيك في قلبي كما نفذ سهمك في قلب هذا الذئب. فكشرت زبيبة، و لم ترتاح لوجه هذا الفارس ،و قالت : من تكون من العرب ؟

- أمير من الأمراء، جاء ليلبي نداء النجدة.

- ليس حديثك حديث بطولة، و لابد أنك غر من الأغرار.

فغضب معن، و نزل عن فرسه و قال : بل أغرقك بالفضل و

المنـة، لأعيـدك إلى جنـاح الملـك الضبعـي، أو أتـركك هنـا فتصيـدك يـد الصعاليـك مـن العـرب، و تنهـش لحمـك الذئـاب و السـباع.
- بـل أتركنـي ألقـي مصـيرى، و لا أحمـل فضـلا مـن أمـير لا يحمـل صفـات العـرب.
فإحمـر وجـه معـن مـن الغضـب : لديـك لسـان طويـل يـا أمـيرة الجـمال و الحسـن، لكـن دعينـي أخلصـك مـن هـذا العـذاب.
و تقـدم منهـا ليرفعهـا مـن تحـت الفـرس، فأخرجـت خنجـرا مـن خصرهـا و ضربتـه عـلى رأسـه، فنـزل الـدم مـن خـده و جبينـه مـدرارا، و لم يطـق معـن صـبرا مـع هـذه الأمـيرة العنيـدة، فضربهـا على رأسـها، فسـقط رأسـها ثقيـلا عـلى يـده، و تـشرب شـعرها الطويـل برطوبـة الأرض. فحملهـا معـن عـلى فرسـه، و قـد اسـتبد بـه الغضـب، و كانـت الرؤيـة في عينيـه حمـراء تمامـا كلـون الـدم الـذي يغطـي وجهـه المكفهـر.

سـمعت ظبيـة صراخـا و عويـلا، فراودهـا إحسـاس الخطـر فإقتربـت بهـدوء مـن صـوت، فلـما رأتهـا الجاريـة هفـت إليهـا باكيـة و قالـت : مـولاتي، مـولاتي.

نظرت ظبية خافقة القلب، تبحث عن الأميرة زبيبة و سألت :
أين الأميرة يا جارية ؟
فسكتت الجارية، و عادت للبكاء.
- ويحك ماذا حدث مع الأميرة، تكلمي و إلا أنطقتك.
و وضعت يدها على خنجر في خصرها، فركعت الجاية و حكت لظبية ما حدث معها، ثم قالت : لم أبرح مكاني يا سيدتي، و لكني سمعت عواء الذئب قريبا و سمعت صوت الأميرة تصرخ، ففزعت و كنت قد أضعت أثر الأميرة، فرايت ان اعود لك يا مولاتي.
فقالت ظبية : إذهبي و هُفِي الخُطَى إلى الخيمة، و أخبري أحد العبيد فيرسل رسولا للقصر، و العبد ماذا جري له، أمات أم مازال فيه نفس يتردد.
فنزلت دموع الجارية، و قالت : بل مات يا سيدتي، و لكنه قبل أن يلفظ أنفاسه، قال أنه رأى فارسا، ربما هو من أطلق عليه يا مولاتي.
إرتجفت ظبية، و قالت : هل عرفه.
- لا يا مولاتي، و لكن العبد قال أن لباسه لباس أهل الجنوب.
بلعت ظبية ريقها بصعوبة، و قد إستولى عليها القلق، أيكون هذا الفارس هو من جال في فكرها ؟ فإن كان كذلك، فويل

لظبيـة إن تعرضـت الأمـيرة لـلأذى، بـل ويـل لوالدهـا و بنـي بـارف كلهـم مـن غضـب الملـك. و لكـم شـعرت ظبيـة في هـذه السـاعة، بالكـره و البغـض نحـو خطيبهـا السـابق أمـير اليمـن، فقـد جلـب لهـا العـار و الخـذلان.

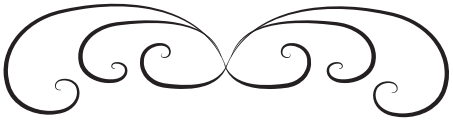

لم تسترسـل ظبيـة في أفكارهـا، حتـي نزلـت عـن فرسـها، و مشـت خطـوات تبحـث عـن أثـار حوافـر الخيـل. فسـمعت أصـوات، و قفـز فجـاءة أمامهـا فـرس أحمـر رشـيق عليـه فـارس، فبهتـت و جمـدت في مكانهـا، و رأت عـدة أفـراس ورائـه، فوضغـت يدهـا عـلى الخنجـر دون ان يمهلهـا، امسـك أحـد الفرسـان بلجـام فرسـها بينـما لإلتـف باقـي الفرسـان مشـكلين حلقـة حصـار حولهـا، أخـذ الفـارس الـذي قفـز أمامهـا في البديـة يتفـرس فيهـا، ثـم اللتـف حولهـا فـوق فرسـه و سـألها : أ ضائعـة أنتـي يـا أمـة اللـه ؟

فسـكتت ظبيـة و لم تتكلـم؟ و كانـت متلثمـة، و لا يظاهـر إلا عينيهـا و بعـض خصـلات مـن شـعرها.

فاقترب الفارس و قال : نحن ملاك هذه الأرض فأسفرى.*

*بقصد بأن تسفر أن تزيل اللثام عن وجهها ليتعرف عليها.

فقالت رافعة ذقنها بتحد و ثبات : لا أسفر حتى تمنحني فرسا أركبه.

فضحك الفارس، و قال : لسان ثابت و جنان قوي.

فقال أحدهم : أمنحني هذا الفرس يا مولاى، و أشار إلى فرس ظبية الذى أمسكه من لجامه.

فقال الفارس و مازال يدور حول ظبية بفرسه : أعطيناك إياه.

فغضبت ظبية، و قالت : أتمنحه كرامة و هي ملك لغيرك، انصفني.

- و بما أنصفك يا بنت العرب ؟

- بالفرس الذي تركبه.

فضحك الفارس، و بان على وجوه الفرسان المرح و العجب، فقال : أفعل ذلك، و تسفري لنرى إن كان سحر الوجوه قويا كسحر الأصوات.

فأسفرت ظبية و ضهر وجهها، و شعرها للفارس فسكت، و قال للفرسان : وجدنا ظالتنا يا زبيد .

فاقترب زبيد مستغربا و قال : مولاى.

فقال المنذر : هذه ظبية بنت وائل بن بارف، و قد منحتها فرسي الجيداء.

ففزعت ظبية، و قالت : في حضرت من أنا، يا واهبى الكرامة.

فنزل المنذر، و قد أُخِذَ عقلهُ بظبية، فلم يظن يوماً أنها بهذه

القـوة و قائـل : تعرفـين حالمـا تركبـين الفـرس الـذي أصبـح ملـكك. فمـد يـده ليسـاعدها عـلى الركـوب، و لكنهـا كانـت بخفـة الفهـد، فقفـزت في لحظـة عـلى الجيـداء، و ابتسـمت قائلـة : عرفـت الأن أنـك مـن أشـجع الفرسـان، و تكـون الجيـداء فـرسي و سـوف اعتنـي بهـا. فسـكت المنـذر ناظـرا إلى ظبيـة، و قـد نـسي مـا كان سـيقول، فسـمع صـوت زببـد يتلملـم فصحـي مـن غيبوبـة الحـب هـذه، و ركـب عـلى فـرس زبيـد، أمـا زبيـد فركـب عـلى فـرس أحـد الفرسـان، و قـال المنـذر : أنـا حـارس مـن القـصر الأبيـض، و قـد جئـت للبحـث عنـك يـا مولاتي و عـن الأمـيرة زبيبـة.

فضحـك زبيـد، و قـد فهـم اللعبـة التـي يلعبهـا المنـذر مـع ظبيـة، فسـكتت ظبيـة و قـد ظفـرت دمعـة في عينهـا فلـم يسـتطع المنـذر رأيتهـا و قـد عـلا وجههـا الحـزن فقـال : سـنتبع طريقـا نظـن قـد سـارت منـه الأمـيرة، فهـل تتكرمـين و تحدثينـا بمـا جـرى معكـم.

تمالكـت ظبيـة نفسـها، و أخـذت تمسـح عـلى عنـق الجيـداء بلظـف و حكـت مـا جـري معهـا، و لم تكـن ظبيـة قـد رأت الأمـير المنـذر قبـلا، لـذا صدقـت أنـه مـن حـراس القـصر. ثـم ركـض المنـذر و قـد سـمح لظبيـة أن تتقدمـه وسـط ضحـكات الفرسـان، و قـد كانـت ظبيـة تأمـر و تنهـي المنـذر، و هـي تظنـه حـارس و هـو يسـتمع لهـا مبتسـما و قـد غـرق في خمـرة اللقـاء.

سـمعت صـوت تصـادم السـيوف ففتحـت عينيهـا لـترى فارسـان يتصارعـان، و كان أحدهـما الأمـير الـذى خطفهـا أمـا الأخر فلـم تعرفه، حاولـت أن تفـق عـلى قدميهـا و لكـن كانـت متضررة، فسـمعت صراخ أحـد الفارسـين قائـلا : أتجـرؤ عـلى مـس أمـيرة بنـي جنـدل و حماتهـا في كل مـكان.

متمـما جملتـه بالطعـن، حتـي خـرج سـيفه مـن ظهـر معـن، فبصـق الأخـير دمـا وترنـح سـاقطاً، يصـب الـدم مـن صـدره و ظهـره غارقـا فيـه مرتجفـا.

تقـدم الفـارس، و كان متلثـما وسـط ذهـول زبيبـة و انحنـي عنـد قدميهـا، و قـال : أنـا يـا مـولاتي خـادم للملـك الضبعـي.

فـردت و قـد عـاد لهـا رشـدها : لقـد قتلتـه أيهـا الفـارس، ألا تعلـم مـا قـد يترتـب عـلى ذلـك.

فقال الفارس و قد رفع عينه ليرى وجهها المتعب :

: على مولاتي ألا تقلق راحتها بسبب هذه الأمور الصغيرة.

ثـم مـد يـده لهـا ليسـاعدها عـلى النهـوض، تحاشـت النظـر إليـه و أمسـكت بيـده التـي كانـت متعرقـة و بـاردة، ارتجـف الفـارس فـترك يدهـا، و قـال : سـأحملك عـلى هـذا الفَـرس للقـصر.

فقالـت ناظـرة إلي الفَـرس، و قـد كان فرسـا أبيـض و منقطـا بالسـواد

: بـل تأخـذني إلى أسـفل الهضبـة تمامـا، فهنـاك الخـدم في خيمتـي ينتظـرون عـودتي.

مشـت و هـي تعـرج فضاقـت عينـا الفـارس، أحسـت زبيبـة أنهـا تعـرف هـذه الأعـين القلقـة و المضطربـة، و لكنهـا قالـت : أسـفر عـن وجهـك، لـنرى صفحـة جبينـك أيهـا الفـارس المقـدام.

فقـال : لا أفعـل يـا مـولاتي، فليـس لى غـرض إلا حمايـة الملـك و أنجالـه و أميرتـه زبيبة.

نظـرت بتمعـن إليـه فلاحظـت شـيئا مـا، و لكنهـا قالـت لهـدوء : و هـل كان يومـا للفـارس أن يعـصي مـولاه.

فقال الفارس : بل يطيع، و لكن للأمور حكمتها.

فضحكـت و وضعـت يدهـا عـلى لجـام الفـرس، و حاولـت أن تركبـه و لكـن الم رجلهـا منعتهـا، فركـع و قـال : إسـتعملى ظهـرى يـا مـولاتي.

فقالـت بحـزم : و اللـه لا أفعـل، بعـد أن حفظـت حيـاتي و كرامـة الملـك، بـل أعطنـي سـاعدك.

فوقـف بـدون كلام ،و وضعـت يدهـا عـلى كتفـه لترفع نفسـها، فكادت تقـع فرفعهـا بيديـه بسرعـة، حتـي اسـتقرت عـلى الفـرس، و لم تقـول كلمـة فـضرب الفـارس فرسـه بقـوة فصهـل بشـدة و انطلـق براكبتـه.

أمسـكت باللجـام لتعـود بالفـرس، و إلتفتـت فلـم تجـد الفـارس، ثـم وقفـت تنظـر للسـماء و قـد بـدأ الليـل يسـدل سـتارة سـوداء عـلى

الهضبة، فقالت ناظرة إلى الفرس بحزن : هيا يا فرسي، فلن أنسى نظرة الفارس تلك حتي أرد له الدين.
ثم تبسمت و عادت للهضبة و قد خلفت ورائها، قلبها بين يدى المجهول.

لم يكد المنذر و ظبية يمشيان مسافة قصيرة، حتي ظهر لهما غبرة صغيرة، فرأيا فرس تركض فتبينوها، و صرخت ظبية بدهشة و همزة فرسها الجيداء لتركض و تلاقي الأميرة، التي استقبلتهم بابتسامة باهتة.
نزلت ظبية عن الفرس و قبلت يد زبيبة، و هي تمسك دموعها، عن الإنهمار فرحا برؤية سيدتها، و صديقتها زبيبة. و رأت زبيبة المنذر و زبيد قد وصلا إليها فنظرت إلى المنذر و أحست بالأمان بعد هذا اليوم العصيب، و مدت له يديها فنزل المنذر مبتسما، و تلقى زبيبة إلى صدره و طوقته بيديها، و قال لها : حمد الله أنك سليمة، و قد كنا نبحث عنك كل هذا الوقت.
فضلت زبيبة تبكي و المنذر يحضنها بعطف، و يربت على رأسها، حتي طيب خاطرها و عادت إليها ابتسامتها البراقة، و سألها : كيف وصلتي لهذا الموضع ؟

- لقد كنت في منتصف الصيد يا أميرى المنذر، و تعرض لي أمير من الأمراء، و خطفني...

بهتت ظبية و تمتمت : الأمير المنذر ؟

فانتبه المنذر أن شخصيته قد كشفت فضحك، و لكن زبيبة استغربت ذهول ظبيبة، و قالت : لقد رافقتي الأمير، و لم تعلمي أنك في حضرته ؟

فترنحت ظبية، و كادت تقع و ارتجفت خوفا و امتلئ قلبها بالرهبة، و قالت : مولاى المنذر.

فسكت المنذر مدعيا الغضب، و لم ينظر إليها و قال ناظرا إلى عمته : و هل وائل بن بارف لم يعلم ابنته كيف تكلم الأمراء؟

فسقطت ظبية، و قالت : العفو يا مولاى، لا تلم والدى على أخطائ و جرأتي.

فخاف المنذر عليها، و قال ملتفتا إليها بشفقة : بل نعاقب بنت وائل إلا إذا تقدمت و صافحت الأمير، و قبلت بفرسه الجيداء، و تعتني به كما وعدت.

فنظرت ظبية إلى المنذر، و قد نزلت دموعها تخط طريقا وسط إحمرار وجهها خجلا و حياء، و قالت :

لقد غمرتني بعطفك يا مولاى.

ثم وقفت و صافحت المنذر ،الذى رأى إبتسامة عمته الماكرة،

فقال متجاوزا هذا الأمر : كيف لأمير جبان أن يخطف الأميرة الضبعية، و هي فارسة السيف و السهم ؟

فقالت زبيبة : أرفعني إلى فرسي يا منذر و أقص عليك الخبر في طريق عودتنا، فقد انهكني التعب.

فضحك المنذر و رفع عمته لفرسها، و لكنه ما إن فعل ذلك تعجب قائلا : ليس هذا من أفراس عمتنا زبيبة.

و نظر إلى زبيد قائلا : هل هذا أحد أفراس القصر يا زبيد ؟

فنظر زبيد، و قال : لا يا مولاى، ليس لدى الملك أو أنجاله و خاصته مثل هذا الفرس و لم أرى مثيلا له.

فضحكت زبيبة، و قالت : إنه فرسي الخاص، و اسمه «الملثم «.

فعجب المنذر ثم ركب فرسه، ببنما ركبت ظبية على الجيداء، و قد كانت طول طريق العودة مطرقة الرأس، حتي أنها شعرت أن المنذر ينظر إليها كل الوقت، بينما كان المنذر يصغي إلى زبيبة، و هي تقص عليه ماحدث معها، و قد كان عقل المنذر عند زبيبة، أما قلبه فكان يخفق بشدة و هو يمشي قرب ظبية، و هي تركب على الجيداء ورائه تماما. و كان الليل قد اسدل سدوله و قرر الأمير أن يناموا في كهف وجدوه واسعا و كبيرا، و باتوا في طرب و حديث طويل حتي ناموا جميعا، و لكن عينان ظلتا متيقظتين تراقبان ظبية، و تسمعان تنفسها الهادئ المطمئن، و الأفكار تجول

في عقله و صدره، فضاق عليه حتي اختنق فخرج من الكهف، و ذهب إلى الجيداء يداعبها و يمشط شعرها بيديه، و هو يتمتم : لقد ركبتك أحسن خلق الله، و علقت رئحتها فيك أيتها الجيداء.

وصل خبر خطف الأمير اليمني لزبيبة لبلاط الملك، و كان في حضرته رجال عشيرة بنى قيس اليمني.

فهاج الملك و غضب و تلون وجهه قال : أيمس أختنا و أميرة بلادنا و نسكت.

فركع الرجال خوفاً، و طلبوا عفو الملك عن معن، و قال : أنه يا مولاى فتي أغر، لا يبالي بالمخاطر في سبيل هوى قلبه، و لم يعد سيدا علينا.

فقال الملك : بل نحفظ أرواحكم فقد دخلتم بلاطنا، و لكن الفتي يلاقي الموت، و قد حكمت و فصلت في الأمر، فلا تعودوا لذلك ثانية .

فقال : نفعل يا مولاى، و لا نرغب عن أمر الملك.

فقال الملك : ننتظر و صول أميرنا المنذر ليقص علينا ما حدث.

و في اليوم الثاني، حالما عادوا للقصر جميعا أمنين ذهبت زبيبة

لغرفتها لترتاح، فلم يمضي ساعة حتي جاء الملك ليرى أخته زبيبة، فلما دخل عليها وجدها شاحبة، فقلق عليها و جلس عند فراشها، يحدثها و يلاطفها حتي ضحكت، و أمسكت بيد الملك، و قالت : مولاى، عليك بالبحث عن الفارس الذي حفظ حياة شقيقتك، و تجزيه بوفائه و اخلاصه لك.

فقال الملك مبتسما : بل أجعله من خاصتي، و إن شاء أن أعطيه كل بيت المال لفعلت يا زبيبة، فليس لدي أغلى منك.

فضحكت زبيبة و داعبت الملك، قائلة : أما أني غالية على قلبك فنعم، و أما الأغلى فلديك شهرزاد، لا نرى ابتسامتك الرحيمة إلا عندما تطل عليك.

فضحك الملك، و قال : إن زبيبة أميرة الحسن و الجمال، عرفنا اليوم أنها أميرة البحث عن قصص الهوى و الغرام.

فقالت زبيبة : أرى يا مولاى، أن أجنحة العشق ترفرف على قصرك، بأوسع ما لديها.

فقال الملك ،و قد أحس أن لدي زبيبة ما تود قوله :

و إن رفرفت، فلا سبيل لهذا الطائر أن ينطلق في هذه السماء، إلا أن يظهر رغبته الخفية يا زبيبة.

فضاقت عينا زبيبة، و قالت : ألا تكفي النظرة إلى أميرك المنذر، لتفصح عما يجول في قلبه المرهون يا مولاى.

فوقف الملك مبتعدا عن أخته. و قال : إننا ندبر الأمور لأوقاتها يا زبيبة، و إن كان الأمير المنذر عاشقا فله أن يحب من يشاء، و لكنه لا يتزوج إلا برضاى و موافقتي، و لن يكون إلا زوجا لكوكب بنت ثعلبة.

فالتمع الحزن في عيني زبيبة على المنذر، و هذا القدر الجائر الذي تصدى لرغبه، و قالت : أسئلك أن ترحم القلوب الضعيفة يا مولاى.

- بل أسئلك أن تكفي عن التشفع و السؤال، و دعي المنذر يدبر أمور قلبه وحده، فنرى اخلاصه و رغبة قلبه، أيهما يرغب و أيهما يكشف لنا.

فسكتت زبيبة، و خرج الملك و قد كان يفكر في المنذر و حبه المزعوم، و إن كان الملك في إستطاعته أن يخطب المنذر لظبية، و لكن المنذر لم يقل شيئا أو يفصح عن نوايا قلبه.

{١٢}

- مـولاتي الملكـة، إن الأقاويـل في القـصر كثـيرة، عـن بنـت وائـل بـن بـارف يـا مـولاتي.
فقالـت الملكـة ناظـرة إلى ماريـا : أ عـن ظبيـة تتكلمـين يـا ماريـا، فهـل صرح الملـك عـن رأيـه في زواجهـا باليفـع ؟
فقالت ماريا : لا يا مولاتي، بل عن ظبية و الأمير المنذر.
فبُغتت الملكة و قالت : ويحك، ما لابني المنذر في ذلك ؟
- لقـد قيـل أن مـولاى المنـذر قـد سـحره جـمال ظبيـة، و قـد رأيتـه يتمـشي في الحديقـة القـصر معهـا، فيلاطفهـا و يضحـك معهـا، و لم أكـن لأصـدق عينـي لـو لم أرى بنفـسي.
فرمشـت الملكـة، و قـد أزعجهـا هـذا الخـبر، فقـد كانـت تأمـل أن يحـب المنـذر إحـدى بنـات بنـى العبـاس و قالـت: - إن ظبيـة ضيفـة للملـك و أختـه، فـلا بـأس إن تحادثـا معـا.
- و لكـن يـا مـولاتي، إن كوكـب قـد كسـآ جبينهـا الشـحوب، و الغـيرة باديـة في عينيهـا الواهنتـين.
- كنـت مرتاحـة البـال لأن المنـذر لا يحـب كوكـب، و لا يحادثهـا بأكـثر مـن حديـث الأخـوة و الصداقـة، فأتخلـص منهـا مـا ان يحـين الوقـت لذلـك، أمـا ظبيـة بنـت وائـل فلـم أحسـب لهـا حسـاباً.

- أرى يا مولاتي أن ولى العهد لابد أن يتزوج بظبية، قبل أن يقوم الملك بتغير رأيه، قبل ان ينمو الأمل في قلب مولاى المنذر و يتصدى لقرار مولاى الملك، و يطلب الزواج بنت وائل، فعندها ..

فقاطعتها الملكة بغيظ : عندها يهدم المنذر، كل ما خططت له في هذه السنوات الطوال. إني منذ أصبحت الملكة و أنا أريد لبنى العباس، أن يكون لهم و الحضوة المكانة، و القوة في البلاط، و لكن ولى العهد يعترض طريقي.

- و لكن يا مولاتي، ولى العهد مازال على توبته، و قد حصل على رضآ الملك.

فضحكت الملكة، و قالت : و إن علم الملك أن اليفع قد عاد لسابق عهده، فسوف بحيل ولاية العهد إلى ابننا المنذر و لاشك.

فتعجبت ماريا من قول سيدتها : مولاتي، أراك قد نسيتي مولاى الأمير قيس، فهو أكبر من مولاى المنذر.

فقالت الملكة بخبث : إن الأمير قيس يحظي برضا الملك، و لكن العرب لا تقبل به ملكا، و هو ضعيف الجسد، لا يقوى على حمل السيف أكثر من ساعة، حتي يسقط لاهثا مجهدا.

فقالت ماريا بخبث ظاهر : و عشيرة بنى ثعلبة، ستغضب إن لم يتم أمر زواج ابنتهم كوكب للأمير المنذر.

فقالت الملكة : لقد دبرت أمر الأمير اليفع، و لم يبقي إلا أن يطلع

مـولاى الملـك عـلى أخطـاء و خفايـا ولى العهـد، فيصـب غضبـه عليـه، و الأن عـلى أن أدبـر أمـر كوكـب، فـإني أخـاف أن يقـوم الملـك بتحديـد موعـد للـزواج، قبـل الذهـاب للقـصر الشـتوى.

فسـكتت ماريـا، ثـم قالـت : إذا نشـغله يـا مـولاتي، فينـسي أمـر ولى العهـد.

فلمعـت الغـيرة و الحقـد في عينـي الملكـة، و قالـت : بـل نقتـل مـن يحـب الملـك قضـاء وقـت راحتـه و تعبـه عندهـا. شـهرزاد.. سـتخرج للقـصر الشـتوى بعـد أيـام، فسـوف يتربـص لهـا الجـن و يخطـف روحهـا.

فتبسمت ماريا، و قالت : نعم يا مولاتي الملكة.

ثـم التفتـت ماريـا فجـأة للـوراء، و قـد شـعرت أن أحـدا قـد كان وراء السـتارة، عنـد بـاب غرفـة الملكـة، و نهضـت ثـم رفعـت السـتارة فـرأت الممـر المـؤدى للـرواق فارغـا، فظنـت أنهـا تتوهـم فقـط.

- ما الأمر يا ماريا.

- لا شيئ يا مولاتي، فقط ظننت أن أحدا كان واقفا وراء الستارة.

فضاقـت عينـآ الملكـة و قالـت : ألم أمـرك أن تخـلي جناحـي مـن الخدم و الجوارى.

- لقد فعلت و الله يا سيدتي، لولا أني توهمت ذلك.

فسـكتت الملكـة، و وضعـت يدهـا في إنـاء صغـير فيـه بعـض المسـك،

تحركـه بيديهـا فيفـوح عطـره في الأرجـاء.

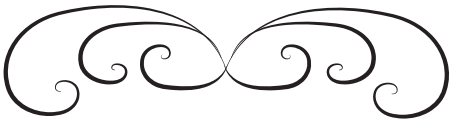

فلنعـد قليـلا، قبـل عـودة المنـذر و زبيبـة و ظبيـة للقـصر. قـد كان المنـذر مغمومـا، و ضـاق بـه صـدره و أحـس أن هـذه الغابـة بـكل مـا فيهـا مـن سـعة لا تكفـي ليبـوح بـسر قلبـه، بـل هُيَّـأ لـه أن الأشـجار تسـمع صـوت قلبـه، و خريـر المـاء ينـزل عـلى سـمعه كالسـم، فلـم يطـق البقـاء سـاكنا و خـرج لـيرى الجيـداء و يداعبهـا، و هـو يذكـر مـا كان مـن أمـره مـع ظبيـة، لقـد سـحر بجمالهـا أولا. أمـا الأن فهـو قـد ذاب شـوقا، بعدمـا رأى و سـمع كلامهـا و ثباتهـا، و وقفتهـا الجريئـة أمامـه، ثـم بـدآ لـه أن يريـح قلبـه فتغنـي ببعـض الشـعر قائـلا :

تنامين لا تدرين ما لليل ذى الهوى ... و ما يفعل التسهيد بالهائم الصب.

فسمع المنذر صوتا ينشد :

و جاهلة بالحب لم تدر طعمه .... و قد تركني أعلم الناس بالحب

اقـترب ظبيـة مـن المنـذر بهـدوء و قالـت : أراك يـا مـولاى، لا تطيـق بعـدا عـن النائمـين.

فتبسم المنذر و قال :

و قائلة بالجهل : ياليت أنها .... تلاقي الذي تلقى من الجهد و الكرب

فقلت لها : ما أشتهي أن يصيبها .... بلائي و لكن بعض ما بي من الحب

فقالت ظبية :

ألبسهُ الشوق تبارحهُ ... فعندهُ هم و تعذيبُ.

و أوقد الشوق على قلبهِ ... نارا ففي الأحشاء تلهيبُ.

فضحك المنذر و لاح له أن يصارحها بحبه فقال :

يا من شقيت بحبه .. و أذاب جسمي بالعذاب

هذا كتابي قد أتاك .. بما أرُددُ في الكتاب

ردى الجواب فإن قلبي .. مستهام بالجواب

ثم أمسك بيدها، وسط ذهول ظبية، و لولا ظلام الليل لرأى المنذر وجهها المحمر، و قال : أنا الأمير الضبعي، أمير البلقاء و حوران و الشام، أركع عند قدميك، و أعترف لك بحبي و هيامي. فإما أن تجيبي ندائى، أو سأكتم حبي و لا أعود لذكره، لقد سحرني جمالك و أخذ صوتكي من قلبي موضعا سحيقا، فأنا عبدك و طالب ودك و احسانك يا ظبية.

فنزلت دموع ظبية، فلا تدرى لماذا بكت أ لسعادة أم لشقاء؟ و لكن المنذر سمع صوت لكاءها، فترك يدها قائلا بفزع : مالكِ يا ظبية، فهل أثقلت عليك بالسؤال؟

فقالت ظبية : لا تقل ما تظن يا مولاى، فلا أدرى ما يخبئ لي القدر، فاليوم ضيفة للملك و غدا زوجة للأمير اليفع، فماذا أفعل يا مولاى ؟ فلم أحلم يوما بالنظر إلى وجهك يا سيدى، فهل أطمع الأن بذلك ؟ و قد أراني والدى مستقبلي و طريقي، أسئلك يا

مـولاى أن تنـسي غرامـي، فأنـا عبـدة لـك و لا أجـرؤ عـلى النظـر إليـك. فشـع الأمـل في قلـب المنـذر، و قـال : بـل لا أبـرح مـكاني، حتـي أعـرف مـا يضمـر في قلبـك.

فسـكتت ظبيـة، و أخـذ جسـمها ينتفـض إنتفاظـاً، حتـي خيـل للمنـذر أن روحهـا سـتخرج، فخـاف عليهـا و ظـن أنهـا تحـب غـيره، و لا تـدري كيـف تجيـب، فقـال و قـد هاجـت نفسـه بالعـزة، و تذكـر كرامتـه و مكانتـه :

لو عرفت يا سيدتي أن لك عاشقا ... و قد عاهدته على الوفاء
لكتمت حبي في صدرى و لو إنشق .. عنه لطعنته برمحى حتي يموت
و لا يعود لما كان عليه ..... فأعذريني يا سيدتي على ذلي و خفتي
و إنسي ما سمعتي مني ..... فأنا وليد جديد في الحب

فكان على أن أحكم عقلي و قد تعلمت الأن .. أن أميز طريقي و أصبر على موقفي.

ثـم أراد المنـذر، أن يعـود للكهـف و قـد نـدم لأنـه بـاح بحبـه لهـا، بـل و قـد جـال في فكـره أنهـا حزينـة عـلى مـوت الأمـير اليمنـي، فهـي وفيـة لـه حتـي بعـد موتـه، و سـمعها تنـادى : مـولاى، مـولاى.

فلم يلتفت لها بل أنشد يقول :

و لقد دفنت هواكم ... منى بنقبرة القلوب
و كتمت حبك جاهدا ...و لاعيت غيبك بالمغيب
و رضيت منك بدون ما .. يرضى المحب من الحبيب
فنعم هَيبني مذنبا .... فتجاوزى ظبية عن ذنوبى

ثـم مـشى لا يلـوى عـلى شـيئ، و قـد تحقـق أنـه غـارق وحـده في ظلمـة الليـل و الحـب.

و عـادوا جميعـا للقـصر في الصبـاح، فـكان أن تحدثـت زبيبـة مـع ظبيـة عـدة مـرات، فكانـت ظبيـة لا تسـمع أو تجيـب إجابـة مقتظبة، فتحـيرت منهـا زبيبـة و قـررت أن لا تلـج في السـؤال، حتـي يخـرج الملـك مـن عندهـا فلـما صفـآ لهـا الجـو دعـت احـدى وصيفاتهـا لتدعـوا ظبيـة إليهـا. فلـم تكـن غـير ربـع سـاعة وكانـت ظبيـة عنـد الأمـيرة، تمسـح رجـل الأمـيرة المصابـة بوهـن و سرحـان، و ظلـت زبيبـة سـاهمة تحـدق في ظبيـة، و قـد أصبحـت غريبـة في كلامهـا، و دمـع يجـول في عينيهـا دون أن يجـد طريقـا للنـزول، و اعـترى زبيبـة القلـق عليهـا فقربتهـا لهـا، و وضعـت يدهـا عـلى يدهـا، قائلـة : أ لسـت ضيفتـي يـا ظبيـة ؟

فقالت ظبية : نعم يا مولاتي.

- و ألست أختك و صديقتك ؟ أفلا تفتحين صدرك لى ؟

فنظـرت ظبيـة بحـزن إلى الأمـيرة، و قالـت : و هـل لـدي الغريـب مـكان يستشـف فيـه الراحـة و النعيـم يـا مـولاتي، إن قلبـي يـا سـيدتي غريـب، ينـادى مـن يحـب فـلا يجيـب.

فتبسـمت زبيبـة، و جالـن أفكارهـا حـول المنـذر فقـد لاحظـت، بـل لنقـل أنهـا سـمعت حديثهـما خـارج الكهـف، و قالـت : و أيـن يقيـم

الحبيب يا ظبية، أفي اليمن أم حوران أم البقان ؟
ثم قالت همسا : أم في قصر الملك ؟
فارتعشت ظبية، و غطت وجهها بيديها و أجهشت في البكاء، فحضنتها زبيبة قائلة : لا تدعي البؤس و القنوط يتسلل إلى قلبك، و الأن عليك يا حبيبتي أن تخبري الحبيب، و تصححي نظرته و تشمليه بحبك، و تفصحني عن عاطفتك.
فقالت ظبية و هي تمسح دموعها : و كيف السبيل ؟ بل كيف أفعل ذلك ؟ و إن فعلت فلا سبيل للقاء و لم الشمل ؟
فقالت زبيبة : لا تجزعي يا ظبية، فلم يقل مولاى الملك كلمته بعد، و لازال لديك أمل.
فصمتت لثواني، ثم قالت : أرى أني أصبحت مرسال الهوى و الغرام، فهلت رفعنا الستار عن السحر يا ظبية.
فلم تفهم ظبية ما تعنيه زبيبة، و لكن المنذر قد ظهر من حيث لا تدرى، فوقفت مبهوتة و شاحبة و قالت : مولاى المنذر، أهذا أنت أم أن خيالك يداعب عقلي فيزيد من شقائى.
فتبسم المنذر، و قد تأكد أن ظبية تحبه بعد ما سمعه منها، و قال : بل أنه المنذر، أتى لينفخ الروح و الحياة في قلبك يا ظبية.
ثم تقدم منها و لكن قلب ظبية إنفجر و لم تهد تشعر بشيئ، إلا بالحرارة تغزوا جسدها فسقطت، ففزع المنذر و زبيبة و ركضا

إليها.

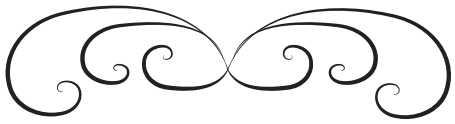

{١٣}

- قفي يا سلمى ننظر كيف حال أختنا ظبية.

فوقفت سلمى و صيفة زبيبة، و مشت زبيبة حتي وصلت لغرفة ظبية، و رأتها و قد تحسنت صحتها بعد أن جاءتها حمى، جعلتها ليوم كامل غير قادرة على الكلام. سلمت ظبية على زبيبة، و قد خجلت أن تأتي زبيبة لتزولاها فقالت : مولاتي زبيبة، أصفحي عني فقد أقلقت راحتك.

فضحكت زبيبة، و قالت : إن كنتي ضيفتي فعلى أن أرفع عنك، و لكنك ضيفتي و أختي يا بنت وائل.

فتبسمت ظبية، و سألت : ماذا فعلت ظبية حتي تنال هذا الكرم ؟

فقالت زبيبة : بل ماذا لم تفعلي يا ظبية ؟ فقد كان المنذر يتردد عليك، و أنت في حمى المرض، و لقد غسل وجهك بالدموع، حتي ظننت أن ابن أخي أخذ من ألامك و حماك.

فبهتت ظبية، و قالت : و هل كان مولاى المنذر، يعودني بمقامه الرفيع ؟ و قد ظننت أني قد أصابني الخبل و الجنون.

سكتت زبيبة ،ثم قالت بعطف : ألا ترين ما في عيني المنذر يا ظبية ؟

فقالت ظبية، و قد جال الدمع في عينيها : بل أظن أني أهذي، و عاودتني الصبابة و الكروب، و هذه الحمى تنهش لحمي فلا تبقي و لا تذر.

لم تكد زبيبة تقول شيئا حتي دخل أحد الحراس : مولاتي ظبية، إن مولاى الملك يدعوك للمثول بين يديه.

فوقفت ظبية، و قد انتفض جسمها و ملئ عقلها بالهواجس و الظنون.

فقالت زبيبة : اذهبي لمولاى الملك، و كوني صادقة معه يا ظبية، فإن لمولاى الملك حكمته في قضاء الأمور.

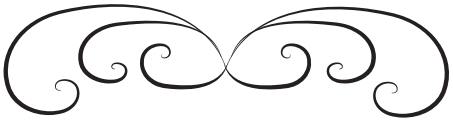

- مولاى الملك، إن ظبية بنت وائل بن بارف تطلب الأذن بالدخول.
فقال الملك ليقس و هما في احدى شرفات القصر الفسيحة : الأن ننظر ما يكون من أمر ظبية، التي جعلت أميرنا المنذر يراجعنا في زواجه من كوكب.
فقال قيس : مولاى، أرى المنذر عازما على أمره، و لا يرد يده عن ذلك إلا خوفه من كسر رضاك يا مولاى.
فقال الملك : بل إن أميرنا المنذر برح به الهوى، حتي نسى أن كوكب خطيبته، و قام يكرم ظبية بحبه و يمنيها بالأماني، و نحن لنا الفصل و القضاء، فأدخل أيها الحاجب بنت وائل.
فسكت قيس، و دخلت ظبية و رأت الملك جالسا على كرسي واسع و عن يمينه الأمير قيس، و قد كان بين يدى الملك كتاب يقلب أوراقه، فانحنت و قالت : مولاى الملك.
فلم ينظر إليها الملك، و لكنه سألها : أبنت وائل بن بارف ؟
- نعم يا مولاى .
فنظر إليها، و رأى جمالا فتانا، و قال في نفسه: إن المنذر معذور في حبه لها، و لكن المنذر لا يستهوبه الجمال، بل اللسان القوى و الوفاء الخالص.
- و أنت البنت الوحيدة لوائل بن بارف.
- أجل يا مولاى، فأنا ابنته و قرة عينه.

فتبسم الملك، و أعجب بهدوئها و قال : و هل تعلمت بنت وائل ركوب الخيل و رمى السهام ؟

- نعم تعلمت منذ نعومة أظافرى، و لم يبخل على والدى بشيئ من خبرته في القتال.

فقال ضاحكا : أما التعلم فمنوط بالمعلم و الطالب، و أما الخبرة فهي هدية الحياة التي لا ترد أبدا. و هل ترافقين والدك في حروبه يا ظبية ؟

- نعم يا مولاى، و قد شهدت الكثير من الوقائع.

فتعجب الملك، و بالغ في إظهار استغرابه : ألا يخاف عليكي من السبى و الخطف و أنت ابنته الوحيدة ؟

فقالت : و ما نفع الخوف يا مولاى، قد حدث أن سباني بعض الأعراب، لما عرفوا أني ابنته الوحيدة، فقام والدى بكسر شوكتهم، و عدت لحماه أمنة، و قرر أنه لا يتركني خلفه أبدا. و كنت يا مولاى، ألبس لباس الفرسان و أتنكر، فلا يعرفي أحد إلا كفارس يحمل سيفه.

فأعجب الملك بثباتها و فصاحتها، و لكنه ادعى عدم الاهتمام، و قال : دعبنا من الماضي فلا سبيل للرجوع إليه، أخبرينا عن قبائل اليمن و الحجاز، ماذا تعلمين عن أنسالهم و ألقابهم ؟

فقالت ظبية : أعرف عنهم الشجاعة و الإقدام، فقبائل اليمن لا

تتبع إلا السيد القوى، و لا تخضع إلا لملك عادل مثلك يا مولاى، أما الحجاز فهو بلد أمن تحت نفوذكم و ..

قاطعها الملك، و قد بان عليه الغضب : أما قبائل اليمن فمنها الذي هو في غني عن حمايتنا، و لولا أن أحد أمرائهم قد تجرأ على أختنا الأميرة و أذاها، بل لو لم تكن عادت إلينا سالمة، لأشعلناها حربا لا تنطفئ. فأراهم من التهور بمكان، انهم يطلقون السنتهم وسيوفهم فلا تعرف لهم رايه ولا حاكماً. و لا يوجيدون تحكيم العقل، ولا يلبسون لباس الصبر، فيغيرون على بعض القبائل التابعة لنا، و نحن نسكت و نعفو، و لكن لكل شيئ حد.

فامتلئت ظبية بالرهبة و جزعت، فكلام الملك يدل على غضبه من ما فعله الأمير اليمني معن، و لكنها تمسكت بالحزم و الشجاعة، و لبست رداء الصبر و قالت : إن يكن بعضهم لا يعرف حق الجوار، و رهبة الملوك فقد جرب، و قد ملئت رهبة دولتكم على بنى قيس اليمني، و عادوا لديارهم و هم ينهلون من رضى و عفو الملك.

فقال الملك، و مازال غاضبا بينما نظر قيس إلى ظبية بشفقة : و ربما سحر العيون يفقد أميراً من اليمن رشده فيتجرأ على مولاه، و لا يكفينا ما جرى حتي يأتي أميرنا المنذر و يصارحنا بحبه لظبية، التي جاءت من منزل بارف لتغوى الأمراء.

فاهتزت ظبية ،و لم تتماك نفسها أن نزات دموعها، فالملك يتهمها بعرضها و شرفها، فقالت : لقد دخلت على مولاى الملك، و نزلت ضيفة على مولاتي زبيبة لأبلغ رضاكم، و لكني أراكم تتهمونني بشرفي، و لكن الكرامة تأبى علي أن أرضى و أنا في حضرتكم يا مولاى، فإما أن تعفو عني، و إما أن تدعوني أدافع عن نفسى، و أصحح ما بدآ لكم عن والدى وائل. فلست ظبية التي تغوى الأمراء، و لكني لست بمحتاله متلونة و لا أنكر أني حلمت، نعم يا مولاى لقد حلمت بنيل رضى مولاى الملك و أنجاله. و لكن الكرامة و عزة النفس تأبى علي أن افرج شفاهي عن مكونات قلبي، حتي تأكدت من رضا مولاى المنذر، بل لو علمت أن مولاى الملك ،لا يراني كفئا لنجله المنذر فلا كانت ظبية وَعُدَوها من الأموات، فالأن أرجوا يا مولاى، أن تقتلني بدون ذنب اقترفته يداى، أو تعفو و تروا صفاء سريرتي و حسن نيتي.

و رأى الملك يديها ترتعشان، فقال في نفسه :و الله لو لم تكن كوكب بنت ثعلبة خطبية المنذر، لما ترددنا لحظة و زوجناها له، و لكن ابننا المنذر حكم عليه بالعذاب.

فعض الملك على شفتيه، ليمنع نفسه من الابتسام و صفق الكتاب بين يديه بقوة، و قال : فهل تكتمين حبك و لا تكلمين المنذر ثانية، و تظلين عند الملك ضيفة و صديقة لكوكب بنت

ثعلبـة ؟
فقالـت و قـد أدركـت أن حبهـا للمنـذر، قـد منـى بالفشـل : نعـم يـا مـولاى.
و تابـع بحـزم : إذا ترافقيننـا للقـصر الشـتوى، فـنرى فراسـتك التـي تتحدثـين عنهـا، و نفصـل في زواج أميرنـا اليفـع، و نـرى مـدى طاعتـك للملـك.
فركعت ظبية، و قالت : و ماذا أقول لمولاى المنذر إن سألني ؟
فقـال الملـك : قـولى مـا تشـائين، و لكـن أعلمـي أن القضـاء و الأمـر في زواج الأمـراء منـوط بي وحـدى.
فقالـت ظبيـة و هـي تمسـك دموعهـا، و قـد تقطـع قلبهـا مـن أوامـر الملـك : أفعـل يـا مـولاى، و انـا عنـد كلمتـي.
فأشـاح الملـك بوجهـه عنهـا، و اشـار عليهـا لتنـصرف، فخرجـت تجـر أذيـال الهـوان و الـذل، و تمتمـت : مـاذا يخبـئ لي هـذا القـدر الجائـر؟ و كيـف أقابـل المنـذر بعـد مـا جـرى بينـي و بـين الملـك ؟
فلـم تسـتطع ظبيـة تحمـل البقـاء في هـذا القـصر، الـذي كان لا يهـدأ ضجيجـه، مـن كـثرة الداخلـين و الخارجـين، فأمـرت صـوفي و قـد جاءت معهـا للقـصر، ان تجهـز لهـا الجيـداء لتخـرج لهـا، فلـم تعـد تطيـق البقـاء خوفـا أن تـرى عينـى المنـذر، فتضعـف نفسـها و تنـسى وعدهـا للملـك. فركبـت الجيـداء، و أخـذت تعـدوا بهـا مبتعـدة عـن القـصر،

و هـي تتمنـي أن يخطفهـا المـوت قبـل أن تشـهد عـلى خطبتهـا للأمـير اليفـع، أو تشـهد زواج المنـذر بكوكـب.

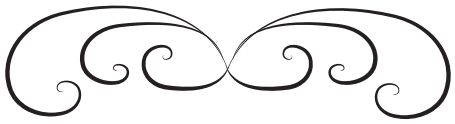

- ألم تقسو عليها يا مولاى ؟
- تقضي علينا الحكمة بذلك يا قيس ؟
ثـم نـادى الحاجـب : نرغـب في مقابلـة أميرنـا المنـذر و أدعـوا زبيـد معـه ؟
فخـرج الحاجـب مسرعـا، يبحـث عـن المنـذر و زبيـد فوجدهـما في جنـاح المنـذر، وحالمـا مثـلا بـين يديـه قـال الملـك : لقـد خرجـت والـدة أبننـا قيـس لتسـبقنا للقـصر الشـتوى، و ناحـق بهـا بعـد أسـبوع، و لكـن قبـل ذلـك لدينـا أمـر يجـب فعلـه، فنحـن نـرى أبـواب الحـرب تفتـح ثانيـة و اريـد تدبـير الأمـر.
فقـال المنـذر و قـد كان عقلـه مشـغولا ليعـرف مـا جـرى مـن أمـر الملـك مـع ظبيـة : أيقصـد مـولاى الفـرس الذيـن يهاجمـون قبائـل الشـام، الذيـن ينعمـون بحمايـة الملـك أم الـروم.
فقـال الملـك : بـل أقصـد الفـرس، فقـد وجدنـا الشـكاوي كـثرتْ، و

الفرس يبعثون بالعيون إلينا، ووصلنا اخبار رسولنا الذي قتل و رمى برُفاهُ في الفرات، وسط ضحكات بلاط كسري. أنَسْكُت على ذلك، و نحن آل الضبع ملوك الشام و الحوران، و البلقاء و البحرين و ما جاورها، لا و الله لا نفعل. فنحن نعفو عن رسلهم و غدرهم، و هم يتلذذون بسفك دماء رسلنا.

فقال قيس : أرى أن مولاى الملك قد قرر الحرب، فهل نستعين بقبائل نجد و الحجاز و الحوران و الشام.

فقال المنذر : أرى أن القبائل الكبرى، التي تدعم الملك بالنسل و النسب، عليها أن ترينا مبلغ قوتها و عدد جنودها.

فقال الملك : إن حربنا هذه ليست منوطة برد الدين فقط .

فقال قيس : إذا مولاى الملك كان يدبر الأمر منذ زمن.

فقال الملك : نعم إن امرها لفي عقلي ليل نهار. و كانت مناوشات الفرس و جرئتهم تصلنا أولا بأول، و نحن ندعى الصبر و الحلم، و الان في امكاننا أن نفتح الباب، فنحن نريد كل الجزيرة و العراق و الحيرة. بل نديرأن نقف عند الفرات و نضع ريات النصر.

فبانت العزيمة في وجوه المنذر و زبيد و قيس، و بقى الأربعة يتناقشون حول الأمور ثم بعد ساعة، دعا الملك بقائد الجيش و قائد الرماة و المستشارين، و أحي الليل كله يدبر و يناقش الأمور، و قد كان يرى في عينى المنذر نار الحب و الواجب تستعر في

قلبه، فعلم الملك أن نداء الحرب غلب على نداء الحب، حتي ما خرج المنذر من عند الملك و ترك زبيد عند الملك يريده في بعض شئونه، سأل المنذر عمته عن ظبية، فلم تعلم شيئا لأن ظبية لم تعد من خارج القصر حتي حل الليل. و دخلت لغرفتها تصبر نفسها بالسلوى، و قد فرج عنها لأن الملك لم يطردها من القصر، فعلمت ان الملك يختبر صبراها و قوة قلبها، و عزمت أن تنال رضى الملك، و لو كان في ذاك عذاب لقلبها و البعد عن المنذر.

{١٤}

- لم نعلم عنه شيئا يا مولاى، بحثنا في كل الأقطار و ربوع الشام و الحوران و البلقاء، بل أكاد أجزم ان رجالك يا مولاى، بحثوا بين الشجر و تحت الارض فلم نجد أثر يا مولاى.

عقد الملك حاجبيه، و قال : أيعجز قائد حرسنا عن ايجاد المحسن إلينا.

- بل يعجز عن ذلك الجن و الإنس، يا مولاى.

- و لماذا يا أبا الدهاء ؟

- لأن فراسنا الملثم، مميز بندبة لرمح اخترقت يده حتي خرجت من كفه، و رسم هذه الندبة يراها الأعمي و لا ينساها، و قد سألنا و بحثنا فإما أنه يخفى هذه الندبة عن قصد، أو أنه لم يلبث إلا ساعة فانقذ الأميرة ،و اختفى عن الأنظار.

فقال الملك ضاحكا من كلام زبيد بن أنبل بن العباس، و هو قائد الحرس الملكي، كلفه الملك بإيجاد الفارس الذى أنقذ زبيبة.

و قد كان الملك بحب حديثه المرح، و جداله الغريب، و قد كان زبيد داهيه و ذا عقل راجح، مع بعض الجنون : أينازلُ الفارس اليمني ويقتص منه بإنقاذ الاميرة و يعود للإختباء، هذا مما لا

أصـدق.

فقال زبيد ضاحكا : لدى رأي أخر يا مولاى.

- ما هو، أخبرنا بسرعة فقد دب فينا الجنون.

- العفـو يـا مـولاى، و لكـن يظـن عبـدك زبيـد، أن هـذا الفـارس ربمـا يكـون قـد خطـط ليكـون المنقـذ الشـجاع، الـذى يعـترف بـه الملـك كرجـل يديـن لـه بالعرفـان، و لابـد أن يظهـر قريبـا يـا مـولاى.

فقـال الملـك مفكـرا : و إن كان مخططـا، فـإن خـروج معـن إلينـا لم يكـن خطتـه هـو، و لكـن شـاء القـدر أن يرتـب الأمـور فيكـون هـو الفـارس الملثـم، بـل ربمـا كان يتربـص بالأمـيرة لغـرض أو لأخـر.

ففكـر زبيـد قائـلا : لابـد مـن الصـبر يـا مـولاى، لأن هـذا الفـارس سـيخرج بنفسـه دون عنـاء البحـث عنـه.

فقـال الملـك مبتسـما : إنـك كثـير الطنـون يـا قائـد الحـرس، و يخيـل إلى أنـك لا تريـد أن تتـولي أمـر البحـث عـن الفـارس، فقلـت مـا قلـت لتجعلنـا ننـسى. و لكـن لا نفعـل، حتـي يظهـر الفـارس و نجزيـه حقـه.

فضحـك زبيـد : إني عبـد لـك يـا مـولاى، و لكـن للعبيـد حاجـات يقضونهـا.

فقـال الملـك ضاحـكا : إذا يـا عبـدي، مـاذا تطلـب إن كنـت أنـت الفـارس الملثـم.

فقال زبيد مبتيما لخبث : أقول و أنا آمن.

- قل و لا تلجْ في السؤال.
- لا أقول حتي تعطيني الأمان.
- يخيل إلى أنك تطلب العرش يا زبيد.

فقال زبيد : لا أفعل يا مولاى، فالعرش مغري و باهر و لكن الجلوس عليه، مثل حفر القبر فلا تلبث ترى الأصحاب يصبحون أعداء، و الخرفان تبرز أنيابها لترى في عينها الذئاب الجائعة، لا أفعل يا مولاى. و لكني أطلب مولاتي الاميرة.

فسكت الملك، ثم أخذ احدى مخدات الدبياج و رماها على زبيد، و قال : إذا خذ هذه جزاء لك، إن كان كلامك صحيحاً، و الأيام تثبث ماذا بطلب الفارس الملثم.

فقال زبيد : و إن لم يفعل يا مولاى، تحفظ رأسي من الطيران، فلا احب أن يطير بسبب الملثم الذى ربما لن أرى وجهه.

فقال الملك ضاحكا : بل نُطَيرهُ أو تجد الفارس يا زبيد.

فقال زبيد، و قد شعر أنه وقع في مأزق، و قد فاز الملك عليه : على هذه الحال، لن أنام الليل يا مولاى، حتي أجد الفارس. أو أحلم بأن تطير رأسي في الليل، و أبحث عنها في النهار فلا أجدها.

فقال الملك : كفى كلاماً و انهض لتكمل المهمة ألتي كلفت.

- لقد فعلت يا مولاى.

فاتسعدت عينا الملك، و ضحك : أرنا ما فعلت.

فلم تقل زبيد، بل أخرج من بين ملابسه رقاً و هو رسالة، مدها للملك، ففتخه الملك و قرأ ما فيه، فبدآ عليه الغضب : أدعوا الأمراء، و كل رجال البلاط بسرعة.

ثم ضغط على لسانه و قال : و أحضر الحاجب قبلهم كلهم.

فبان الجد في عينى زبيد، و قال : أمرك يا مولاى.

و خرج من الغرفة، و قد ترك الملك يغلى في صدره بركان من الغضب، و قد علم أن أحد خاصته قام بخيانته، و لم تمضي مدة حتي كان الحاجب، و هو يدعى إياد في وسط الغرفة، راكعا على ركبتيه مطأطئ الرأس، بينما حدقت عيون القادة و رجال البلاط إلى وجه الملك الغاضب، و قد انتفخ و احمر حتي كاد ينفجر. ببنما كان زبيد متقلد سيفه واقفا وراء إياد، و قيس و المنذر و اليفع جالسين و قد عرفوا أن في الأمر خيانة، فسأل الملك و قد نفخ صدره بالغضب : من يجلس أمامك الأن يا زياد ؟

- مولاى الملك الضبعي.

- و ماذا وكلك الملك يا إياد ؟

- بأن أكون حاجبه.

- و هل تعلم ما هو عمل الحاجب ؟ دعني أخبرك، الحاجب هو كاتم أسرار الملك، يدخل و يخرج الملك عليه الخاصة و العامة، و يخطط و يرسم و يدبر في وجود حاجبه الأمين، فيسمع الحاجب

كل ما يدور في غرفة الملك أو بلاطه.
فسكت إياد، و تابع الملك : و هل تعرف ما ثمن خيانة الملك يا حاجبنا الأمين ؟
فقال إياد : مولاى.
فقاطعه الملك : ثمنها الموت، نعم الموت يا إياد، و لكننا نرحمك و أنت في حضرتنا، فأخبرنا بكل ما عرفه الملك الفارسى عنا، و نقطع ذراعك و لسانك و نطلق لحالك.
فسكت إياد، و لم يجب فصبر الملك عليه، فقام زبيد بإمساك إياد من رأسه بقوة، فرفعه ليرى وجه الملك الحانق و هو ينفض نارا، و لم يجب فقال الملك : زبيد.
- مولاى الملك.
رأى زبيد الشرر يتطاير من عينى الملك، ففهم أن هذا أمر بقتل إياد، فجرد سيفه في لحظة و لكن الملك قال : هل تحب يا إياد أن تموت بالسيف، أم تموت بشكل أخر يختاره لك الملك.
فقال إياد رافعا وجهه الملطخ بالخيانة، و قال : إفعل ما تشاء يا مولاى.
فقال الملك : بل قل أنى عامل الروم في الجزيرة، أليس هذا ما وصفتني به في رسالتك، لملكك العظيم سابور.
فقال إياد : أقتلني يا مولاى.

و إرتجفت شفتاه خوفاً، فقال الملك رافعا عينه إلى زبيد، و قال : دعه يرى نور الشمس من شرفة قصرنا.

قام زبيد بجر إياد و رماه من الشرفة، و قد كانت عالية جدا، وسط جمود العيون و انخفاض الأنفاس و هول الموقف، سمع الملك صوت صراخه، ثم صوت ارتطامه بالأرض، فقال الملك : هذا جزاء الخيانة و قد شهدتم على ذلك، و أنى أعطيته الأمان و حفظت روحه، و لكنه فضل الموت في سبيل مولاه الفارسي.

ثم دخل بعد ذلك بلحظات أحد الحراس، و قد بدآ على وجهه الخوف، و ارتعش لما رأى وجه الملك و قال : مولاى الملك، وصلت بعض الأخبار عن مولاتي شهرزاد.

فلم يبد الملك رد فعل قوى، و إنما سأل بهدوء : و هل وصلوا بسلام.

فتلكأ الحارس، فحدجه الملك بنظرة غاضبة و قال : مالك قد بُلع لسا نك .

- مولاى الملك، وصلنا خبر نعى مولاتي شهرزاد، فقد ماتت قبل الوصول للقصر الشتوى.

ظل الملك للحظة مبهوتاً، و وقف قيس و سأل الحارس بخوف : ويحك، ماذا تقول ؟

فقال الحارس : مولاى الأمير لقد تم تأكيد الخبر.

فقال الملك بوهن : كيف ماتت ؟

سكت الحارس، ثم نظر إلى الملك و قال : لقد فاضت روحها، في العربة يا مولاى، و قد وجد هذا الرق (رسالة) بين يديها يا مولاى. لقد وضع سم في شرابها يا مولاى. و قد قال الجندى الذى وكلته بأداء هذه المهمة، أن مولاتي قد شربت بعض الشراب عندما نزلت من العربة، و حالما عادت لداخل العربة ماتت لهدوء.

ثم تقدم من الملك، و ركع حاملا الرسالة بين يديه.

أشار الملك على الجميع بالانصراف، و قد خطفت انفاسه تماما من هول ما سمع، بل خوفه من هذا الرق الذى تركته شهرزاد له، ظل قيس و اليفع و المنذر جالسين و لم يخرجوا، صامتين و قد بللت دموع قيس مقلتيه و لحيته الصغيرة. و سكت المنذر متأثرا ببنما ظل اليفع غير مبالى.

جال في خاطر الملك شيئ ما، و يداه ترتجفان و قال : نتأكد من الخبر بأنفسنا.

فقال قيس : لا أبرح مكاني يا مولاى، حتي تأخذني معك. لأرى يا مولاى ما حل بوالدتي.

فمشى الملك، و قد انتفخ وجهه من الغضب : إذا تأتي معى .. مع المنذر لنحقق في الأمر.

ثم نظر إلى اليفع، و قال : إنى آتمنك على القصر يا أميرنا اليفع،

فهل أنت جاهز لهذه المهمة.
فوقف اليفع، و قد سعد أينما سعادة بقرار الملك، و قال : مستعد للموت في سبيل رضاك يا مولاى.
خرج الملك و معه المنذر و قيس، و مشوا بسرعة إلى مرابط الخيل، و ركب كل منهم فرسا و ورائهم الحراس و العبيد. و عربة جهزت بالطعام و الخيام، و خلال ساعة، كان الملك و من معه على ظهور الخيل في طريقه، إلى المكان الذى دلهم عليه الرسول، و في صدر كل منهم حسرة و أمل، أن يخيب ظنهم فيروا شهرزاد باسمة في استقبال الملك، و ابنها قيس.

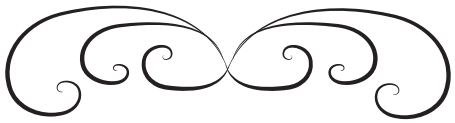

رأى المنذر أخاه قيس يهمز الفرس، ليسرع الوصول و الدمع يتطاير من عينيه، فيسقط على وجه المنذر الذى كان يفكر و يفكر، من قد يؤذى مولاتي شهرزاد؟ و كل من في المملكة يعرف مقدار حب الملك لها، بل لماذا تقصدوها هي من دون الأمراء ؟ و رأى المنذر وجه الملكة بين عينيه، فقال لنفسه : و الله لو كان هذا حقا، و أن الملكة غمست يديها في الدم فلن يسكت الملك عن ذلك. و تنهد مفكرا، و ربما لن ينظر في وجه المنذر ثانية، فالملك غضب

في البداية عندما عرف أن المنذر يرفض الزواج بكوكب و يريد ظبية، « هاج الملك قائلا : أنخطب بنت حمزة الثعلبى، بنت قائد الجيش الضبعي ثم نعود في قرارنا، راجع نفسك يا أميرنا و لا تعد لهذا اللغط ثانية.

فقال المنذر، و قد تجهز لرد الملك مسبقا : بل أسئلك أن ترأف بقلب أميرك المنذر.

- إذا تسمع كلام قلبك و تضيع مصلحة شعبك.

- مولاى لقد ربيتني على الصراحة، و البث في كل الأمور دون حجاب بيننا يامولاى، فلما سألتني رأي في كوكب لم يكن قلبي مشغولا، و لم أحسب لهذا الغرام حساباً، و لكني الأن لا أبرح مكاني حتي يكون الملك على علم بما يجول في خاطرى.

فهدأ الملك، و قال بعطف و قد اكتست نظراته لابنه بالشفقة : أخبرنا يا منذر، ماذا تعلم عن سياستنا في إدارة الدولة ؟

فقال المنذر : إن سياستكم الحكمة و الدهاء، و الكشف عن خفايا القلوب، و ما تضمر الصدور، و الأخذ برأى رجال البلاط يا مولاى.

- إن سياسة الدولة الضبعية، تعتمد بشكل كبير على روابط القبائل، يا أبا كرب*، فماذا تعام عن أمور النسب المتبعة يا بنى ؟

* يقصد كنية المنذر، و قد اعتاد العرب على تسمية الرجال باسم أكبر أبنائهم من الذكور، أو مجازا إذا لم يولد لهم أبناء بعد، و هو فعل يدل على المحبة و استعطاف النفس.

فسكت المنذر، و قد فهم ما يرمى إليه الملك، ثم قال : مولاى الملك، أعلم يقينا أن عشيرة بن ثعلبة قد حاربت في صف الملك، و بذلوا في سبيل دولتنا الأرواح و الدماء. بل إن سيدهم لبيد شقيق كوكب فدآ أميرك المنذر بروحه، يا مولاى، فإن لم يتم زواجي بكوكب، قد يغضب لذلك بنو ثعلبة، و ربما لا يساندوننا ضد الفرس.

فقال الملك : أراك يا منذر تعلم ما يترتب عليه إضاعة هذا النسب القوى بحمزة الثعلبي، و مازلت مصمماً على إكمال الطريق.

فقال المنذر بجرأة : و لكن ماجعل مولاى الملك يقبل بمولاتي شهرزاد كزوجة و أم لأميره قيس، هو ما بجعل المنذر يفضل ظبية على بنت حمزة الثعلبي.

فقال الملك بصبر : لقد إختلط عليك الأمر يا منذر، إن بنت وائل ليست جارية، بل هي بنت النسب الأصيل، و بنو بارف سيكونون عونا لنا حتماً، و لكن ألا تسألني لماذا رفضت أن تتزوج كوكب بولى العهد، بل خطبتها لك يا منذر.

فقال المنذر : لأن الملك لا يرضى أن تكون زوجة ولى العهد بنت عشيرة قوية، فيأخذون بمقاليد الحكم و يذهب نظام مولاى الملك.

فامعت أعين الملك و قال : أ بعد هذا تراجعني في قرارى.

فقال المنذر : إنى لا أراجعك يا مولاى، بل أسئلك اللطف فيه،

فإما أن تكون ظبية زوجتي أو لا أتزوج أبدا يا مولاى. بعد ظبية لا يريد المنذر ان يري من النساء لمحة جمال ولاثغرا بساما.

فقال الملك و قد شعر بالنار في عينى المنذر تكاد تصل إليه : و هل تعارض قرارى إن حكمت بألا ترى ظبية بعد اليوم أبدا ؟

فأخذ صدر المنذر يعلو و يهبط، وسط نظرات الملك الهادئة، و لكن المنذر تمالك إرادته، و قال : أقبل ألا أراها أو أسمع صوتها على أن تسمع لي رأيا يا مولاى.

فقال الملك مستغربا : ما رأيك يا أميرنا العاشق ؟

- أن تنصفني يا مولاى، فأطيع قرارك و لو طلبت منى أن أرمى بجسدى الأن من شرفة غرفتك لفعلت، و لا أتردد. و لكنى لا أطيق يا مولاى، أن أرى ظبية تزف إلى الأمير اليفع، فليختر مولاى من تناسب ولى العهد من فتيات البلقاء و الحوران، و لكن ظبية لا تكون لولى العهد يا مولاى و إلا خنقت قلبي، فأطلب من مولاى الملك أن ينفيني إلى أبعد بقاع الأرض، و لا تقع عيني على ظبية و قد أمست زوجة لغيري.

- نعم نفعل ذلك يا أميرنا، و لتذهب المملكة الضبعيين لإيدى الطامعين فيها.

فتعجب المنذر، و قال : و كيف هذا يا مولاى ؟

فقال الملك، و قد أغضبه مظاهر هذا الحب يظهرها المنذر، و

لا يذكـر شرفـه و مكانتـه : لإن بعـض القلـوب الضعيفـة، لا تـرى في الحيـاة إلا الهيـام و الغـرام.

فارتعـش المنـذر، و قـال : فمـولاى الملـك يـراني ضعيـف القلـب، و لا أصلـح لحفـظ عرشـك ؟

فقـال الملـك : نعـم، بـل نـراك اسـتهواك الجـمال و كنـا نظنـك فـارس البيـداء و رافـع اللـواء، صاحـب السـيف و مشرفـا للملـك، فأمـسى الملـك لا يسـمع مـن أخبـارك إلا أحاديـث الغـرام.

فقـال المنـذر، و قـد عـز عليـه عتـاب مـولاه الملـك : إذا أصحـح مـا بـدآ لمـولاى الملـك مـن أمـيره المنـذر مـن مظاهـر الضعـف، و ألبـس لبـاس الطاعـة للملـك، و إنى لأوثـر شرفي عـلى غرامـي، فـإن لم يصفـح عنـي مـولاى الملـك، فـلا كان المنـذر و يُحكـم عـلي بالشـقاء.

فقال الملك متظاهرا بالغضب : و تنسى غرامك، و لا تعود إليه.

- لا أنسى يا مولاى، و لكني أكتم فلا يعلم به جن و لا إنس.

- و ترضى بقرارنا.

- أفعل برضآ يا مولاى.

و جال القهر في عينيه، ليظهر الألم في قلب المنذر.

- إذا يـوم الجـمار نفصـل في الأمـر، و تكـون ظبيـة أمـام أعيننـا و يـرضى المنـذر، و لا يعـود لهـذا الجـدال أبدا.

فهـاج المنـذر لكرامتـه و مكانتـه، و خـاف أن يخـسر ثقـة الملـك، فقـال

بصوت متهدج : رضيت يا مولاى.

_و لا ترى ظبية بعد الأن إلا برضانا و أمام أعيننا.

- نعم يا مولاى.

فقال الملك بصوت عال : إذا أدعو زبيد أيها الحاجب.

فذهب الحاجب و عاد بعد لحظات، و قال : زبيد قائد الحرس الملكى، ينتظر المثول أمام مولانا.

- أدخله يا إياد.

فدخل زبيد و قال فورا : يا زبيد أترى الملك يعطيك مهمة خاصة، و لا يكون في ذلك يبدى رضاه عنك.

فقال زبيد باسما : مرحبا بالمهمات أن كانت تجلب رضي الملك.

- و إن كان الموت ينتظرك فيها.

- لا شيئ يغني عن حضور الموت، و لكن رضى مولاى غاية نريدها، و أهلا بالموت في سبيل ذلك.

فقال الملك بحزم : تبحث عن الفارس الملثم، الذى حفظ شرف الملك.

- أفعل يا مولاى، و منذ الساعة.

- اقترح علينا اسما تراه وفيا للملك، و مقداما لا يعصى مولاه.

ففكر زبيد لحظات ثم قال : عروة بن أسود بن جندل.

- لا نريد أبناء عمومتنا.

- مالك بن أنبل بن العباس.
- أترى أخاك جديرا بها يا زبيد ؟
- نعم يا مولاى، أنا من رباه و أضمنه.
فتبسم الملك، و قال : كم عمره يا زبيد.
- يقولون في الواحد و العشرين، يا مولاى.
- أيجيد تطويل اللسان مثلك يا زبيد.
فقال زبيد ضاحكا : لا يا مولاى، فقد أتعبني فقصصته، و لكنه يجيد الفراسة، كأنما رضع من حليب الفهد يا مولاى.
- أدعوه يا زبيد، فنرى ما يكون من أمره، فإن حاز رضانا قربناه، و إلا جعلناه يعود ليرضع من الأفهاد و الأضباع.
- أمرك يا مولاى.
ثم خرج زبيد، و قال الملك محدثا المنذر : بعد أن انتهينا من أمور الصبابة و الهوى، فهل عرف المنذر ما يريده الملك من مالك بن أنبل ؟
فقال المنذر، و قد استعاد هدوئه : مولاى يريد معرفة أحوال الفرُس.
- أحسنت يا أبا كرب، و لكن هذا قليل من كثير، فنحن نريد أن نرمي الطعم يا منذر، فيلتقطه الفهد الفارسي و يقع في الفخ، و لا يمضي يوم الجمار في قصرنا الشتوى، حتي ترى جيوشنا تملئ

البر و الجبل. «

و كان هذا بداية حديث طويل بين الملك و المنذر حول الفرُس و الخطط، كان هذا قبل أن تمثل ظبية بين يدى الملك، و لم يستمع لهذا الحديث أحد إلا الحاجب إياد.

يتبع في الجزء الثاني

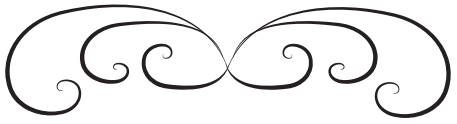

* أبيات الشعر ليست من تأليف الكتابة ، تم إقتباس معضمها من ديوان العباس بن الأحنف و غيره .

مملكة الضباع

الجزء الأول : ظبية ضيفة الملك
الجزء الثاني : ظبية تأسر قلب المنذر
الجزء الثالث : المنذر يبحث عن قلبة
الجزء الرابع : ظبية بين فراق و لقاء

كتب أخرى للكاتبة :

زنبقة السيد فولتر
مدينة يسكنها الضباب

مملكة الضباع 1

ظبية ضيفة الملك

وقف الأمير فجأة و سكت عن الكلام، ثم توجه بجسمه إلى الجارية قائلا بحيرة : أخبريني يا سالي، لما على ارتداء هذا الثوب، لما لا أقبال مولاى الملك بثوب الصيد.

وضعت الجارية سالى يدها على صدرها لاهثة :

- يا سمو الأمير، اليوم هو يوم وصول مولاى الملك من الحرب، و قد رفع راية النصر عاليا، و لابد أن تستقبله بلباس لائق. لقد أوصت مولاتي الملكة بذلك.

نظر الأمير ذو التسعة سنوات بثبات و قوة إلى سالى قائلا : لا تجرُئي على قول ذلك أمامي ثانيةً، لسوف أقابل مولاى الملك بلباس العلم و القوة، بدل لباس الديباج و الذهب.

تنهدت سالي بحزن و قالت : مولاى أطلب عفوك، و لكن الأميران قيس و اليفع سوف يتجهزان مثلك، ليقفا أمام القواد و الأشراف، و تحت نظر السفراء الروم ليروا جلال و كرم الملك على أنجاله، يا مولاى.

فقال الأمير الصغير بإصرار : أحب أن أفاخر الاعاجم، و لكني أكره التصنع و التبلد، هيا يا سالي ألبسيني هذا الثوب الخفاق، لأنهى رغبة الملك بالطاعة و الشعور بالجميل و رد الإحسان.

أسماء الأوجلي

تصميم الغلاف : Sundus Mohammed